الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركز الجامعي أكلي محند أولحاج
معهد اللغات والآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

شعر السجون عند مفدي زكريا
اللّهب المقدس - أنموذج-

إعداد الطالبتين

-حكيمة عويج

- حديبي حميدة

اشراف الأستاذ

جبارة اسماعيل

السنة الجامعية 2010- 2011

إهداء

إلى الشمعة التي تحترق لتضيء لنا درب النجاح في سبيل لنا ما منعتها يد الزمان من تحقيقه..... "أمي الغالية". أن تحقق إلى رمز" الصمود" من علمني معنى الإعتدال في كل شيء....

"أبي العزيز".

- إلى التي يفيض قلبها حنانا.... "جدتي" شفاها الله.
- إلى من أخلص له قلبي في المحبة والوفاء رفيق دربي زوجي " فهيم".
- إلى من شاركتني في إنجاز هذا البحث الأخت " حكيمة عويج".
- إلى قرة عيني إخوتي: "محمد، أحمد، وتوأم روحي حسان".
- وإلى أخواتي: "كريمة ونوال ونسيمة" حفظهم الله لي
- إلى كل عزيز فارقنا: "جدي" رحمه الله.

إلى كل من يعرفني إلهم هذا العمل المتواضع.

حميدة

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى الذي قال عنهما الله تعالى في كتابه الكريم «وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحسانا».

- إلى التي فتحت عينيا ووجدتها تضمني إلى صدرها والتي غمرتني بحنانها إلى أمي رمز الحب والحنان.
- إلى الذي كرّس حياته لأجل تعليمي وايصالي إلى ما أنا عليه الآن إلى أبي الغالي.

- إلى من ترعرعت بينهم إخوتي: حسينة، فريد، سميرة، بلقاسم، سارة، محمد أمين.
- إلى كل زميلاتي وزملائي في الجامعة.
- وإلى كل صديقاتي كل باسمها، دون أن أنسى زميلتي التي شاركتها هذا العمل" حميدة"
- إلى كل من عرفتهم في هذا الوجود بلا عدم ولا حدود

إليكم جميعا

حكيمة

المثقفين و العلماء، و ما شدّ انتباهنا أكثر إلى هذه عرفت العصور القديمة و الحديثة ظاهرة سجن الظاهرة، هو سجن الأدباء و علاقة السجن بالإبداع الفني، و من خلال المطالعة تأكد لنا أن أدب السجون في الأدب العربي القديم يمثل واقعا متميزا ينفرد بمعطيات و سمات خاصة.

إن وجود السجون منذ القديم دليل قوي على أنها ظاهرة عامة لها تجلياتها و خصوصياتها وعندما أمعنا النظر في هذا الموضع تأكيد لنا أنها حقا ظاهرة متميزة في الوطن العربي تستحق دراسة خاصة لما عرفت هذه البنية من أحداث سياسية تاريخية تمثلت في كثرة الفتن و الثورات والحروب و عليه فقد كان أغلب نتاج أدب السجون في الوطن العربي شعرا،و يرجع تفسير الظاهرة إلى أن في الشعر غنائية غير موجودة في النثر ، و تحقق هذه الغنائية على العواطف المشار انطلاقا من الذات.

و ما حفزنا أكثر لدراسة شعر السجون في البيئة العربية و بالأخص البيئة الجزائرية أنه موضوع قلت الدراسة فيه من جهة مما جعله يتسم بالجدة و الطرافة إلى حد ما و من جهة أخرى كان يعكس حوادث تاريخية مهمة، كما اتضح لنا أن للموضوع خلقية إنسانية اتسمت بالثنائية في صراع الشاعر من أجل الحرية فهو تارة يستبديه القنوط، وتارة يحدوه الآمل وذلك فضلا عن أن شعر السجون انعكس على حياة الشاعر النفسية و الفكرية و على طبيعة علاقة المكان بالإبداع الفني، و مدى قدرته على تفجير قريحة الشاعر.

و من الواضح أن تحديات السجن في نفسية السجين العربي بركان على أهمية الانفجار و تجد في الشعر متنفسا لها فهو أفضل شكلا من أشكال الشعر عن خلجات النفس و استظهار شحونات الشعور، لا بد من ظهورها كعامل تطهير داخلي.

و رغم الأهمية التي يعتريها شعر السجون، إلا أنه موضوع حديث لم يجر النظر فيه إلا في وقت متأخر، إذ نلاحظ ندرة الدراسات التي تتناوله، و يعزى السبب في ذلك على خصوصية هذا الموضوع، فهو من الموضوعات التي يلفّها الحذر كأصحابها عند الكتابة عنهم و يعتبر انعكاسا صريحا لصراع الإنسان ضد أي واقع مرير مفروض بالإضافة إلى عدم مراعاة الدارس للخصوصية الفنية لهذا النوع الخاص من الشعر، إذ كثيرا ما ينظر إليه على أنه شعر وطني إصلاحي أو شعر ثوري.

و ما يحمله هذا النوع من أهمية بالغة و رسالة هادفة ، فقد جعل الشاعر السجن مذهبا له يعبر من خلاله عن احتجاجه فحوّل زنزانات السجن إلى رحب من الكون و حل خلاصة إلى نور يضيء و نار تحرق فوجب علينا أن نحلل هذا الإبداع الفني الهادف.

هذه الأهداف يمكن تلخيصها في إشكالية عامة مفادها: عندما يكون حلم الثورة والإصلاح و الفن جنينا في مخيلة الشاعر فإلى أي مدى تستطيع الغربة و النفي و قضبان السجون أن تقف حائلا

دون اكتمال هذا الجنين فنيا وإصلاحيا؟ بمعنى هل يمكن لشاعر سجين يتحدث من صخر أن يجمع في حصاده بين الفنية الشعرية و الروح الإصلاحية.

هذه الإشكالية فرضت علينا تقسيما خاصا جمعنا في مدخل و فصلين ، صدرناهما بمقدمة وأتممناهما بخاتمة كان المدخل أولهما، وجعلناه مساعدا لنا على الولوج في هذا الموضوع وتضمن مفهوم شعر السجون ، السجن في القرآن الكريم و في الحديث الشريف كما تعرضنا إلى موضوعات السجن و خصائصه الفنية .

أما الفصل الأول فهو الجانب النظري تناولنا من خلاله تطور شعر السجون من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ورواد هذا اللّون من الشعر ثم ثنيناه بفصل آخر و هو الجانب التطبيقي فتطرقنا فيه إلى سجينيان مفدي زكريا في ديوانه "اللهب المقدس" ، و ختمنا بحثنا بخاتمة تتضمن حوصلة حول شعر السجون عند مفدي زكريا.

و لعل خصوصية هذا الموضوع جعله يكون قليل الاهتمام من طرف أدبائنا الذين أهملوا هذا النوع من الشعر رغم شفافيته و صدقه فلهذا جاءت العناية به حديثا، وربما كانت هذه الصعوبات التي واجهتنا في إتمام البحث لأن ما سواها عوائق كانت أهون من أن تذكر لأنها في نظرنا من الضرورات التي تقتضيها عملية البحث.

و نذكر أننا اعتمدنا في انجازنا لهذا البحث على عدة مراجع و مصادر أهمها ديوان مفدي زكريا " اللهب المقدس" وبعض المراجع مثل كتاب (أدب السجون وأثرها في الآداب العربية) لـ " واضح السمد"، و(كتاب الغربة والحنين) لـ " عمر بو قرورة".

تعرض كثير من شعرائنا العرب إلى محنة السجن وقسوته وعذابه، فكان لابد أن يعبروا عما يختلج في نفوسهم من معاناة ،وكان الشعر أقرب وسيلة لتفريغ شحناتهم النفسية فكان من البديهي أن يكون شعر السجون عنوان لكل شعر ولد في السجن، و ترعرع تحت ظلمته، فإذا عرفنا مدلول هذا الشعر، فعلينا منهجيا أن نقف أولا عند معنى "السجن" لغة و اصطلاحا، ويتأتى لنا بعدها الوقوف على ماهية هذا اللون الشعري.

مفهوم شعر السجون:

أ- السجن لغة:

إذا استقرأنا دواوين العرب وجدنا مصطلح(السجن،الحبس،الحجز) موجودة منذ القديم، و قد وردت معانيها في معاجم اللغة العربية.

ففي لسان العرب لابن منظور:« السجن الحبس، و السجن بالفتح:المصدر سجنه يسجنه سجنا أي حبسه، و في بعض القراءة: "قال رب السجن أحب إليّ" و السجن المحبس و هو اسم و من فتح السين فهو مصدر سجنه سجنا.

و السجان صاحب السجن، و رجل سجين مسجون.

و سجين: فعيل من السجن.
و سجين واد في جهنم. و الجمع سجناء، و سجنى و سجين ...»[1]
و جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس.
« سجين : السين و الجيم و النون أصل واحد. و هو الحبس. يقال سجنته سجنا، و السجن يسجن فيه الإنسان .
أما قول ابن مقبل: ضربا توافر به الأبطال سجينا
فقيل إنه أراد به سجيلا، أي شديدا ، و قد مضى ذكره، و إنما أبدل اللام نونا، و الوجه في هذا أنه قياس الأول من السجن، و الحبس. لأنه إذا كان ضربا شديدا ثبت المضروب، :أنه قد حبسه»[2]
« أما لفظة حبس: حبسه يحبسه حبسا، فهو محبوس و حبيس، و أحبس ضد الخلية، و المحبس على قيامهم الموضوع الذي يحبس فيه، و يكون سجنا و الحبس هو المصدر.
و قال سيبويه : حبسه و احتبسه اتخذه حبيسا»[3]
أما لفظة « الأسر: فيقال: أسرت الرجل أسرا و أسارا: فهو أسير و مأسور ، و الجمع أسرى و أسارى ، و يقول استأسرى أي كنا أسيرا لي و الأسير الأخيذ، و أصله من ذلك ، و كل محبوس في قبو أو سجن:أسير.
و قال مجاهد الأسير المسجون و الجمع أسراء، و أسارى، و أسرى »[4]
فالسجن إذن -حسب معناه اللغوي- عند أصحاب المعاجم هو الإضمار و الوقف و قد استعمله العرب في جاهليتها للدلالة على حجز الحرية و تقيدها.

ب- السجن اصطلاحا

« يمثل السجن المركز القانوني الذي يعود إليه لتطبيق الجزاء. فهو إذن النتيجة القانونية السلبية لسلوك معين يسلكه المخالف، و يخرج به عن قاعدة قانونية أو شرعية أو فرعية.

فالسجن بهذا المعنى العام هو استثناء يرد على قاعدة الحريات العامة و التي تنص في مستهل مواردها، على أن الحرية ضمان مكفول للجميع و هو يقضي بالتأكيد إلى تعطيل عامل رئيسي في الحياة، و هو حرمان الإنسان من ممارسة إرادته ثم حريته.

و قد عرف نظام السجون تطورا في المراحل الأخيرة، و خاصة مع ظهور علم العقاب. و تحول العقاب لمحض الإنتقاء و التشفي و التعذيب إلى مؤسسة إصلاحية، تعتني بالمجرم نفسيا و اجتماعيا و دينيا لتضع منه إنسانا صالحا، يتغلب عنصر الخير فيه على عنصر الشر.
و بذلك أصبح السجن مؤسسة تؤدي دور الرادع للمجرم عن طريق تعليمه بغية إصلاحه»[5]

لفظة السجن في القرآن الكريم و مدلولها:

قال تعالى في سورة يوسف « **قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم»** سورة يوسف آية 45.

« و لم تقل من فعل بأهل سوءا تبرئة لها و تبرئة له أيضا من الفعل، إنما النزاع عن الإرادة و المراودة.

و يقصد بالجزء الثاني من الآية أن يعذب عذابا أليما فبرئ نفسه، مما رمته به»[6]

---

[1] ابن منظور لسان العرب(فصل السين المهملة،باب النون) صادر للطباعة و النشر بيروت 2005 ص 131.
[2] أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة،اعتنى به د.محمد عوض نرعب و الآنسة فاطمة محمد أصلان (ط1)، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2001، ص 485.
[3] ابن منظور ، لسان العرب، مادة حبس، ص 14 -15.
[4] ابن منظور، لسان العرب، مادة أسر، ص 104.
[5] ايمان خلفاوي ، شعر السجون عند احمد سحنون، مذكرة تخرج ليسانس، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر 2009.
[6] عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم و الرحمان في تفسير الكريم المنان، دار الإمام مالك الجزائر (ط1)1425ه، 2004م، ص 406.

و ورد في السورة نفسها« **و لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن و ليكونا من الصاغرين** » سورة يوسف آية 31.
« لتلجئه بهذا الوعيد لحصول مقصودها منه فعند ذلك اعتصم يوسف بربه و استعان به على كيدهن»[1]
« **قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه....»** سورة يوسف آية 32.
« كلام يتضمن التشكي إلى الله تعالى من حالة مهن »[2]
« أي أنه استحب السجن و العذاب الدنيوي على لذة حاضرة، توحي العذاب الشديد »[3]
و ورد أيضا « **بدالهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين، و دخل مع السجن فتيان...»** سورة يوسف الآية 35- 36.
« " ليسجننه" جملة دخلت عليها لا القسم، فالآيات ذكر فيها أهل التفسير أنها قدّ القميص و خمش الوجه، و حز النساء أيديهن و كلام الصبي على ما روي، و مقصد الكلام غنما هو أنهم رأوا سجنه بعد ظهور الآيات المبرئة له من التهمة ، فهكذا يبيّن ظلمهم له »[4]
ويقصد من قوله تعالى« ليسجننه حتى حين» أي « ينقطع الخبر بذلك و يتناساه الناس »[5]
و ذكر أيضا « **يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهّار** ...» سورة يوسف آية 39.
« و يقصد من هذه الآية وصفه لهما بصاحبي السجن من حيث، سكناه كما قال أصحاب الجنّة، وأصحاب النّار، و نحو ذلك و يحتمل أن يرد صحبتهما له في السجن »[6]
و في السورة نفسها « **يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا...»**
سورة يوسف آية 41.
« و هو الذي رأى أنه كان يعصر خمرا، فأنه يخرج من السجن."فيسقي ربه خمرا" أي يسقي سيده الذي كان يخدمه خمرا، و ذلك مستلزم لخروجه من السجن »[7] و في مكان آخر ورد أيضا« **فلبث في السجن بضع سنين**» سورة يوسف آية 42.
« " و البضع" من الثلاث إلى التسع، و لهذا قيل أنه لبث سبع سنين، و لما أراد الله أن يتم أمره و يأذن بإخراج يوسف من السجن قدّر لذلك سببا لإخراج يوسف و ارتفاع شأنه ، و إعلاء قدره، و هو رؤيا الملك »[8]
و ورد أيضا « **و قد أحسن بي إذ أخرجني من السجن** » سورة يوسف آية 100.
« و قد أحسن بي إحساناً جسيماً و أخرجني من السجن و هذا من لطفه، و حسن خصاله، عليه السلام ، حيث ذكر حاله في السجن، و لم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته »[9]
و عن قصة حبس يوسف ذكر البهيقي:« ... في الحديث المرفوع قال: شكا يوسف عليه السلام إلى ربه جل و عز ، طول الحبس، و أوفى الله تبارك و تعالى إليه: أنت حبست نفسك حيث قلت: رب السجن أحب إليّ مما يدعوني إليه، و لو قلت العافية أحب إليّ عوفيت »[10]
و ورد عن السجن في سورة الشعراء: « **قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين»** سورة الشعراء آية 29.

---

[1] المصدر السابق، ص 407.
[2] سيدي عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، ت: عمار الطالبي ج2 صدر عن وزارة الثقافة (د،ط) ،2007 ص 319.
[3] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير القرآن، ص 407.
[4] عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان، ص 32.
[5] عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم، ص 407.
[6] سيدي عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان، ص 323.
[7] عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم ، ص 409.
[8] المصدر السابق، ص 409.
[9] المصدر نفسه، ص 416.
[10] ابرهيم بن محمد البهيقي، المحاسن و المساوئ ، دار صادر بيروت، 1970م، (دط)، ص 521.

« زعم – قبحه الله – أنه قد طمع في إضلال موسى ، و أن لا يتخذ إلها غيره و إلا فقد تقرر أنه هو و من معه على بصيرة من أمرهم »[1]

و جاء في سورة المائدة « **إنّما جزاء اللذين يحاربون الله و رسوله و يسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف أن ينفوا من الأرض** » سورة المائدة الآية 35.

المقصود من هذه الآية « عبارة – أن ينفوا من الأرض – المراد بالنفي هنا أن تخرج من بلده إلى بلد آخر فيسجن فيه »[2]

و ورد في سورة المائدة « **تحسبوهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم** » سورة المائدة آية 106.

« هذا بالنسبة إلى الشاهدين اللذين حضروا وصيته الميت قبل وفاته يحسبان بعد الصلاة أو صلاة العصر فيؤديان شهادتهما أمام جمهور المصلين، و إن ظهرت لكم منها ريبة إنهما خانا، فيحلفان حينئذ بالله »[3]

و جاء أيضا في سورة هود:« **و لئن أخّرنا عنهم العذاب إلى أمّة معدودة ليقولن ما يحبسه**» سورة هود آية 8.

و ورد في القرآن الكريم ألفاظ أخرى بمعنى الحبس أو السجن منها قوله:« **و لا تمسكوهن ضرار لتعتدوا** » سورة البقرة آية 231.

« أي لا ترجعوا للمطلقات اللواتي قاربنا إنقضاء عدتهن ضرار لتطويل حبسهن و منعهن من الزواج من آخرين »[4]

و قوله تعالى :« **... و جعلنا جهنم للكافرين حصيرا** » سورة الإسراء آية 8.

« أي مستقرا و سجنا، لا محيد لهم عنه »[5]

السجن في السنة و الأحاديث:

و إذا كان السجن قد ذكر في القرآن الكريم، فمن البديهي أن نجده في الأحاديث النبوية على هذا الأساس نطرح الإشكالية التالية: هل سجن الرسول صلى الله عليه و سلم أحد أم لا؟

لقد ذكر بعضهم أنه لم يكن له سِجن، و لا سَجن أحد. و ذكر بعضهم أنه سجن في المدينة في تهمة و غيرها.

و مما وجدناه في هذا الصدد ما ذكره المقريزي:« روى أبو داوود و ابن ماجة عن الهرماس بن حبيب عن أبيه، قال: أتيت النبيّ صلى الله عليه و سلم بغريم لي، فقال لي ألزمه ...ثم مرّ الرسول صلى الله عليه و سلم بي آخر النهار فقال : ما فعل أسيرك يا أخا بني تميم؟ و هذا كان هو الحبس على عهد النبي صلى الله عليه و سلم و أبي بكر، و لم يكن له محبس معد لحبس الخصوم »[6]

« و عن الحسن بن سفيان ... عن الحسن قال بين أناس من أهل الحجاز قتال في بعض ما يكون بين الناس فتعاضوا إلى النبي صلى الله عليه و سلم فأمر بحبسهم »[7]

« و ذكر بعضهم أن الرسول صلى الله عليه و سلم سجن في المدينة في تهمة دم و أنه سجن رجلا اعتق شركا في عبد، فوجب عليه استتمام عتقه حتى باع غنيمه له(أتم عتقة) و أن رجلا قتل عبده

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم ، ص 598.

[2] الحافظ عماد الدين أبي الغراء إسماعيل ابن كثير القريشي ج2 ،دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع،(ط3) 1401م، 1981، ص 51،

[3] المصدر نفسه ، ج2، ص 12.

[4] المصدر السابق ،ج 2، ص 281.

[5] المصدر نفسه، ج3، ص 26.

[6] تقي الدين المقريزي، المواعض و الاعتبار ، دار صادر بيروت، ط2، (د ت) ص 187.

[7] نقلا عن: واضح الصمد ، السجون و أثراها في الآداب العرابية من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي،(ط1) 1415 هـ ، 1995 م، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، ص 27.

متعمدا فجلده النبي صلى الله عليه و سلم مائة جلدة و نفاه سنة ، و في رواية أخرى أنه حكم عليه بالضرب و السجن»[1]

« و قال النبي صلى الله عليه و سلم الذي أمسك رجلا لآخر حتى قتله "أقتلوا القاتل، و أصبروا الصابر"، و قال أو عبيدة قوله:" أصبروا الصابر يعني أحبسوا الذي حبسه للموت، حتى يموت" و ذلك ذكره عبد الرزاق في مصنفه عن علي بن أبي طالب، "يحبس الممسك في السجن حتى يموت"»[2]

و هذا كله يؤكد لنا أنه لم يكن هناك سجن عند الرسول صلى الله عليه و سلم يسجن فيه المخالفين و إنما كانت عقوبة تعويق لشخص المذنب، ربما تكون في بيت أو في المسجد حتى أن الشخص المدعى عليه كان يلازم المحبوس لئلا يحاول الفرار.

و لكن ما يهمنا في بحثنا معناه الأدبي فما هو أدب السجون؟

يقصد به تلك الكتابات التي ألّفت في السجن و يعد من أعذب أنواع الكتابة، و أصدقها، نظرا لأنها تنظم في دياجير الظلام و قتامة الليالي حالكة السواد التي تطغى على مشاعر السجن فيلجأ إلى الكتابة ليعبر بها عما يجول في خاطره. فيبوح للأوراق عن آلامه مرة، و آماله بالحرية، و التخلص من القيود مرة أخرى. حتى قيل: أن قراءة مذكرات السجين وحدها كافية لأخذ العبرة منها. و إذا لوجدنا أن معظم وقفنا وقفة مع حرية المفكر و الشاعر الذي سجن لآراءه السياسية و لوعه بالحرية أعماله تمحورت حول تصوير الحياة العربية من جميع جوانبها. و قد أدرك أن ذلك لا يتأتى إلا عن نفس حرة لا تزوح تحت أي قيد، و كانت دعواته السياسية الشعرية منها و النثرية تحريضية صريحة، و كان نقده شديدا مباشرا لسياسة الحكام مما عجّل بدخوله السجن، و قد أرّخ العقاد لهذه التجربة في كتابة "عالم السدود و القيود" و الذي عرّف فيه السجن العقادي قائلا: «عالم السّدود و القيود عندي، و عند كل عابر سبيله هو ذلك البناء المعزول في ناحية من الأطراف في بعض الأحياء القارة الواسعة الكبيرة ، و كأنه يحس نفرة الناس منه و نفرته من الناس .....»[3]

و يقول في كتابه "عالم السدود والقيود":« خطر لي و أنا أخطو الخطوة الأولى في أرض السجن قول الفيلسوف ابن سينا وهو يخطو مثل هذه الخطوة:

« دخولي باليقين بلا احترام و كل الشك في أمر الخروج »[4]

فهاجس العقاد عند دخوله السجن كان: أين و كيف سيتم الخروج منه؟

الغربة في شعر السجون:

« قد لا تعني كلمة "الغربة" في حياتنا سوى هذا الشعور الذي يحسه عندما يغادر مسقط رأسه إلى مكان آخر بعيدا عن أهله و وطنه، أو الشعور الذي يحس فيه الفرد بالبعد و الإنفصال عن مجتمعه لما فيه من آراء و معتقدات يختلف معها و لا يوافقها، لأنها لا تعني سوى ضياع ذاته »[5]

و لقد تكشف لنا و نحن نحاول البحث عن مدلول كلمة "الغربة" في الفكر الأوربي أن هذه الكلمة أخذت أكثر من معنى منذ أن استعملها "روسو" في المجال السياسي، و أخذت تتعد مدلولاتها بعد ذلك في الفلسفة و العلوم إبان القرن التاسع عشر.

---

[1] نقلا عن المرجع نفسه ، ص 27. 28.

[2] المرجع السابق ، ص 28.

[3] عباس محمود العقاد ، عالم السدود و القيود (د ط)، منشورات المكتبية العربية، بيروت (د ت)، ص5.

[4] نقلا عن المصدر نفسه، ص7.

[5] عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد و الغربة في الشعر الجاهلي، ط1، 2003، الناشر دار الوفاء لدبن الطباعة و النشر، مصر، الاسكندرية، ص 2.

« و في شتى مجالات استعمالها كانت تحمل على الدوام معنى الضياع الذي يستشعره الإنسان عندما يفقد ذاته، سواء كان هذا الفقد للذات نتيجة للتمثيل السياسي أو للظروف التي تحكم عملية الإنتاج في المجتمع الرأسمالي كما يرى علماء الاقتصاد »[1]

و نشير أن للغة طابع ذاتي متغير مع طبيعة صاحبها، و طبيعة المجتمع و ما يحكمه من أنظمة و مؤسسات، و بذلك تغيرت معاني الغربة عما كانت عليه قديما، فاتخذت لها صورا معقدة في العصر الحديث بسبب، ما لحقه من دمار و حروب و استيلاب.

فقد اتخذت الغربة عند الإنسان الجاهلي بعدا مكانيا و يذكر الجاحظ عن تشاؤم العرب بالغراب و يقول: « و من أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة و الإغتراب و الغربي (....) و إنما لزمه هذا الإسم لأن الغراب إذا كان أهل الدار للنجعة، وقع في مرابط بيوتهم يلتمس و يتقمم فيتشاءمون و يتطيرون منه، إذا كان لا يعتري منازلهم، إلا إذا بانوا فسموه غراب البيّن »[2]

« كما أن الإغتراب هو حالة تحول الكائن إلى خارج ذاته ، أو تجاوز ذاته، و قد استخدمت كلمة الإغتراب في العلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس الذاتي بالغربة و الإنسلاخ سواء عن الذات أو عن الآخرين » [3]

من هنا نحدد الفرق بين مفهوم الغربة و التغريب، فالغربة هي النّوى و البعد و التنحي عن الناس و التغريب هو النفي عن البلدان و الأوطان و من أقسى أنواع الغربة هي الغربة داخل الوطن بسبب الظلم و الإضطهاد و الخوف أو الفقر و الحرمان.

و ربما نجد المفهوم الشامل الذي نبحث عنه عند أبي حيان التوحيدي في كتابه (إشارات إلهية) حيث يدرج المفهوم المادي و المعنوي لهذه الكلمة في قوله:« فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه. و قلّ حظه و نصيبه من حبيبه، و أين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان ، و لاطاقة على الاستيطان، إن نطق حزنا منقطعا، و إن سكت سكت حيران مرتدعا، و إن قرب قرب خاضعا وإن بعد بعد خاشعا وإن ظهر ظهر ذليلا وإن توارى توارى عليلا ...»[4]

نفهم من خلال هذا القول أن: المفهوم المادي للغربة هو الإرتحال عن الوطن و البعد عنه لسبب سياسي أو اجتماعي، و المفهوم المعنوي هو الغربة الروحية و الفكرية و النفسية، كما نشير إلى أن الشعر الجزائري قبل الإستقلال لم يخل من هذه المفاهيم.

و نخلص في الأخير إلى أن الغربة في كلا المعنيين تعني عناصر ثلاثة أساسية هي:

01- موقف فكري عقدي.

02- هجر الواقع الذي يتلاءم مع موقف الشاعر.

03- الانتقال إلى مكان جديد.

---

[1] المرجع نفسه، ص3.

[2] نقلا عن: عمر بوقرورة، الغربة و الحنين في الشعر الحديث (ب ط) منشورات جامعة باتنة، 1997، ص 13.

[3] يحي الجبوري الحنين و الغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، ط1 1428 ه ،2008 م، دار مجد لاوي 2007 عمان ،الأردن، ص .16

[4] نقلا عن: عمر بوقرورة ، في كتابه الغربة و الحنين في الشعر الحديث، ص 16.

الحنين في شعر السجون:

إذا تخطينا المفهوم اللغوي للحنين، فإننا سنكتفي بأن نذكر أن « الحنين مفهوم مناقض تماما "للغربة" فالحنين يختص معاني " الاشتياق و الرحمة و البهجة و الرقة، و الحنين عاطفة سامية أودعها الله في الإنسان منذ الأزل و هي إحساس و شوق لولاهما لفقد الإنسان أماله و نكص عن نفسه و لولاهما لما وجدنا مهاجرا صابرا أو معتزلا متعففا ، فالحنين إذن دواء ناجع لكل الغرباء فأينما وجدت غربيا و قابلك حنينه، و بقدر مفهوم الغربة يكون الحنين »[1]

نفهم من كل هذا الغربة داء و الحنين دواء

فهي فرقة الحنين اشتياق

و هي يأس و هو أمل

كما بيّن الجاحظ في رسالته أن حنين النفس إلى مسقط رأسها هو الشعور بالانتماء و أنه من علامات الفطرة السلمية حيث يقول:« من علامة الرشد أن تحنّ النفس إلى مولدها مشتاقة إلى مسقط رأسها تواقة »[2]

فيؤكد انتماء الإنسان إلى وطنه و ذكرياته و يعقد مقارنة بين حنين الإنسان و حنين الطير و يرى أن الإنسان أولى بالحنين من هذا المخلوق الضعيف فيقول:« إذا كان الطائر يحن إلى أوكاره فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه»[3]

« و الحنين إلى الأوطان طبيعة في النفس البشرية و هي البدوية خاصة فهو منسجم مع طبيعة العربي الحساسة في بيئته الصحراوية الواسعة، و لم يقتصر الحنين على البشر بل شمل الحيوان، فالإبل تحن إلى أولادها و مرابضها و لذلك كان الحنين غريزة في نفس العربي في باديته، و ارتبط الحنين إلى الأوطان بكرامة الإنسان و اعتزازه »[4]

و في الأخير نخلص إلى أن موضوع الغربة و الحنين إلى الأهل و الديار و الأوطان و الشوق للحمى و صور الفراق و آلام الغربة، قد استرعت أذهان كثير من الكتاب و الأدباء، فمعظمهم قد عرف أثر الغربة و الحنين و الشوق في نفوس العرب و المسلمين على مدى العصور.

موضوعات أدب السجون

أولا:- الجوانب الذاتية:

01- واقع السجن و أثره النفساني:

لقد تحدث الشعراء الذين ذاقوا مرارة السجن عن واقع الحبس، فكانت حقيقة لديهم أنه محنة و بلاء، و أن هناك مفارقة كبيرة بين العالم الخارجي و الحبس، و وصفوا أثرهم الهادم في النفس و ما يعتري السجين أول دخوله السجن من إنقباض و رهبة، ثم يتدرج في الاعتياد على تلك البيئية

---

[1] المرجع السابق، ص 18.

[2] نقلا عن: محمد أحمد الدقالي في كتابة الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع هجري)، دار الوفاء لدنيا الباعة والنشر، ط1، مصر، 2008، 27، 28.

[3] المرجع نفسه، ص 28.

[4] يحى الحبوري، الحنين و الغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، ص 9.

الجديدة مع المحافظة على الحالة النفسية التي يتمتع بها، لذلك ترى أن المساجين أنواع مختلفة و هذا ما ذكره لنا السمقري حين حُبس ، حيث قال:

« بمنزلة أمام اللّئيـــــــــــــم فشامت بها و كُرام القوم باد شحوبـــــها»[1]

« و لقد كثرت صرخات الضجر و الإنهيار عند الشعراء المساجين، نظرا للواقع المرير الذي كانوا يعيشون فيه، و لم تكن تلك الصرخات إلا انعكاسات للأوضاع النفسية التي كانوا يعانونها ، مما دفع ببعضهم إلى المجازفة بحياتهم، بعد نفاذ صبرهم و قدرتهم على احتمال هذا الواقع و عمدوا على قتل السجّان و الهروب من السجن »[2]

و هذا ما حصل مع " قتالى الكلابي " هذا المقاتل المحترف الشديد لم يحتمل واقع السجن و عذابه النفسي ، فنفذ صبره، حيث قتل الحارس و لذّ بالفرار و في ذلك يقول:

« و لما رأيت الباب قد حيل دونه و خفت لحاقا من كتاب مؤجل

حملت على المكروه نفسا شريفة إذا وطئت لم تسقد للتـــــــــــــذلّل »[3]

و إذا كان الواقع لا يتيح لجميع المسجونين بالهرب، فلا بد للمسجون من أن يتخذ من نكبة الحبس موقفا فيصعد أو يهبط، فمنهم من تصاعد بنفسه و الأزمة تعتصره و وقف للأعداد في إيباء و شموخ، و كثير من الشعراء ارتفع لهذا السمت، منهم عدي بن زيد الذي تمنى لو أنه أقدم على الانتحار و لم يصل إلى تلك الحالة المذلة في سجن النعمان و قد عبر عن ذلك يقول:

« ليت أني أخذت حتفي بكفّي و لم ألق ميتة الأقـــــــــــــتال»[4]

و يقبض ابن زياد على يزيد بن المفرّغ و يودعه السجن، يسممه شتى أنواع العذاب كل ذلك لم يثني ابن المفرّغ عن عزمه، فيقذف ابن زياد بأقذع أنواع الهجاء، من ذلك قوله:

« سامني بعدكم دعـــــــــــي زياد خظّة الغادر اللّئيـــــــــــم الزّهيد»[5]

02- الخوف من الموت:

« و من أدب السجون، ما يصف لنا مواقف بعض الشعراء و قد دفعوا إلى الحافة الرهيبة التي تهوى بهم إلى العالم الآخر، و أشرفوا على الموت، و مثل هذا الأدب تصريح للصراع النفسي لما تبدت النهاية المرهبة، فمن السجناء من اعتراه شعور الراغب بإيقاف الزمن و تجميده حتى لا يتقدم به إلى الساعة المرتقبة »[6]

و من الشعراء من أطلق صرخات الارتياع من الموت فتساقط ذليلا، و منهم من أخذ ينوح على نفسه، قال أبو الطمحان:

« ألا علاني قبل نوح النوائـــــــــــح و قبل نشوز النفس بين الجوانـــــــــح

و قبل غد يا لهف نفس على غد إذا راح أصحابي و لست برائـــــــــح »[7]

نلاحظ من أقوال هؤلاء الشعراء أنهم عاشوا جميعهم تجربة النهاية لقناعتهم أنهم سيقتلون لا محالة، و كان لكل منهم خواطره و أحاسيسه. و من يتأهب لاستقبال الموت و هذا يعود لاختلاف مكوناتهم من النهاية إنما بصورة مختلفة، إنه يعيش الأزمة النفسانية الحادة. يتشبث بالليل و يتمنى أن يبقى

---

[1] نقلا عن: الأصبهاني، الأغاني مصور عن الطبعة دار الكتب، مؤسسة جمال للطباعة و النشر بيروت (د ت) (د ط) ج ،21 ص 240.

[2] واضح الصمد ، السجون و أثرها في الآداب العربية ص 204.

[3] نقلا عن: الاصبهاني، الأغاني، ص178.

[4] نقلا عن: المصدر نفسه، ج 2، ص 105.

[5] نقلا عن: المصدر السابق، ص 273.

[6] واضح الصمد، السجون و أثارها في الأداب العربية، ص 207 .

[7] نقلا عن: الأصبهاني ، الأغاني، ج 13، ص 12.

أزليا و الليل أشد معاناة و عذاب عن السجين من النهار، فالسجن و العذاب و الليل كلها آلام و إنما الكارثة الكبرى ستكون في المصير الذي ينتظرونه ألا وهو الموت.

03- هموم السجن:

« باح شعراء السجون بهمومهم و آلامهم في الأيام القاسية. و بخاصة في ظلام الليل فالسكينة في الذات الداخلية بأن تستيقظ و لكوامن المشاعر أن تبرز، فيبيت السجين تحت عذابان، عذاب الجسد و عذاب القلب و الروح ، و يقضي ليلة في هذا الإضراب النفسي »[1]

و قد عبر أبو الطمحان عن هذا الواقع ، حين أسر فقال:

« أرقت و أبتني الهموم الطـــوارق و لم يذق ما لاقيت قبلي عاشـــــق»[2]

كما عبر الفرزدق عن أحاسيسه داخل السجن و كيف يقضي ليله يقول:

« أبيت أقاسي الليل و القوم منهم معي ساهر لي لا ينام و نـــــــــــــوّم»[3]

و نستنتج من قراءة هذا الشعر، أن الشعراء الذين عايشوا تجربة السجن و الأسر، كانوا يعايشون أحزانهم و أفراحهم، و ما كان ينتابهم من عذاب نفسي، و بخاصة أثناء الليل حيث لا جليس و لا ونيس، و لا ضوضاء و لا حركة، فيجلس الشاعر إلى ذاته و تستيقظ في داخله جميع أحاسيسه و مشاعره و ما يقاسيه من عذاب و ألم ، و كأن تلك الآلام و الهموم دخلت عليه فجأة، فيبدأ صراعه في نفسه و صراعه مع جسده و يطول الصراع و يطول الليل فيتعذر عليه النوم ويترقب طلوع الفجر ، لأن الظلام يزيد من غمه.

و من الشعراء من يضعف و ينهار أمام تلك المحنة، و للسجن أثر كبير على تحطيم العنفوان والجلد، و أمام ذلك الواقع لا يجد الشاعر مناصا من البكاء فيفرّج بذلك عن نفسه و لا يكتم الوهن الذي تملّك نفسه في عزلته، فيعبر عن ذلك في شعره.

04- الصبر و التوبة:

ما لاحظناه في شعر هؤلاء السجناء أن حديثهم عن الصبر كثير في ثنايا إنتاجهم الأدبي، و هو حديث الإنسان المعذّب وردود فعله في وجه الملّمات الفادحة، و ما لديه من الاحتمال و القدرة على المقاومة، و هذا يتفاوت عند الناس، فمنهم من جبل على القوة و التمرد، و منهم من جبل على الضعف و الهوان.

فنجد يزيد بن المفرّغ ، قد قاسى الأمرين من لتعذيب ابن زياد له ، أذلّه و حقّره و شهّر به ، فيقول:

فصبرنا على مواطن ضيق و خطوب تصير البيض سودا »[4] «

أما سراقة بن مرادس البارقي ، فيبدو أنه كان جبانا ذا شخصية ضعيفة، فليس غريبا أن نجده بعد ليلة واحدة في السجن يحضر مرتاعا أمام المختار و يقول:

تقبّل توبة منّي فإنـــــــــّـــي سأشكر إن جعلت النقـــــــد دينا »[5] «

هذا ما تيسر لنا من الجوانب الذاتية النفسية ، التي استخلصناها من خلال شعر السجون، وهناك جوانب ذاتية أخرى يجدر مناقشاتها، و هي الجوانب العاطفية.

ثانيا:-الجوانب العاطفيــة:

---

[1] واضح الصمد، السجون و أثارها في الأداب العربي، ص 209.

[2] نقلا عن: الأصبهاني، الأغاني، ج 13 ، ص 11.

[3] الفرزدق ، ديوان الفرزدق ، دار صادر بيروت ، ط1، 1427 هـ ، 2006 م ،ص 249 .

[4] عبد القدوس أبي صالح، ديوان يزيد بن المفرغ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 1975، ص 100.

[5] نقلا عن: واضح الصمد، في كتابه السجون و أثرها في الآداب العربية، ص 213.

01- بين الأمل و اليأس:

يتعرض الشاعر السجين إلى موجات عاطفية تجعله يعيش في أجواء ملئها الرجاء و الأمل، ثم لا يلبث أن يتعرض إلى ومضات قاتمة تجعله ينتقل من جو إلى آخر ، لذلك نجده يخرج من اليأس إلى الأمل ، و من الأمل إلى اليأس ، ونقدم هذه المقطوعة لهدبة بن خرشم معرضا لهذه المشاعر المنافرة يقول:

« عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكسون وراءه فـــــــــــــرج قريب
فيأمن خائف وفـــــــــــــــك فـــــــان يأني أهله النّائـــــــــــــــي الغريب »[1]

و كأن في قلبه الخائف شعاع من أمل، على ما كان يغمره من البؤس النفسي إذا كان يترقب أن يقتل، فكان أن تلاشى ذلك الشعاع تدريجيا، حتى انطفأ نهائيا، فذعر هدبة ودب اليأس فيه فقال:

« ولا أراني اليوم إلا مـــــــــــــــيتـا إن بعد الموت دار المســـــتتر»[2]

02- الحنين و الأشواق:

« يجلس السجين في زاوية من الحبس، يقلب الكبول والأغلال التي تثقل كاهنه، يقضي ليلة أرقا شاهدا فتتدافع فيه الانفعالات النفسية و العاطفية، و يخترق خياله جدران السجن السميك أبوابه الموصدة إلى مراتع صباه إلى الأهل و الأحبة، إلى ذلك الغني بالذكريات، القادر و إثارة العواطف المستكنة فلا ترى عين الشاعر السجين بقعة تضاهي دياره، فيبوح عفويا، بما تختلج به نفسه من شعور و عواطف و حنين إلى الأرض و الأهل و الخلان و الأحبة »[3]

و هذا الشاعر الأحوص الذي قضى عقوبة النفي و السجن في "عمان" بعيدا عن الأهل و الوطن إنه يعرض لنا شيء من الحنين و الأشواق فيقول:

أقول بعمان و هل طربي بـــــــه إلى أهل سلع، إن تشوقت نافع؟

أصاح ألم تحزنك ريح مريضة و برق تلال بالعقيقين رافـــــــــــــع؟ » [4]

و في الأخير نخلص إلى أن التجارب النفسية و محنة السجن القاسية، وحدت عند هؤلاء الشعراء و عند غيرهم التعبير العفوي، و إن النزوع إلى الأرض التي كانت مسرح الماضي، هو نزوع فطري يكسب على الوطن الجمال، و لو كان خلاء موحشا ، و إن صورة تلك المرابع تستيقظ عند الشاعر في الغربة الحبس.

هذه أهم المواضيع، و هناك مواضيع أخرى تجلت في شعر السجون مثل: شعر الحكمة، شعر المعتقلات و التعذيب، وصف السجون، وصف السجانون.

كما نلمح في هذا اللّون من الشعر التحدث عن العلاقة بين الأهل و القبيلة.

---

[1] ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء، دار الثقافة، بيروت، ط4، سنة 1980، ص 583.

[2] المصدرنفسه، ص 583

[3] واضح الصمد ، السجون و أثارها في الآداب العربية، ص 215.

[4] نقلا عن محمد بن سلام الجمحي – طبقات فحول الشعراء- ق ش محمود محمد شاكر، مطبعة القاهرة، (د ت) ج 2، ص659.

الخصائص العامة لأدب السجون

أولا: الخصائص المعنوية:

01- الصدق:

أول ما يلاحظ في أدب السجون ، أن المعاني صادقة واضحة بسيطة ليس فيها تكلف و لا إغراء في الخيال، سواء حين يتحدث الشاعر عن أحاسيسه أو حين يصور ما حوله في السجن، فهو لا يعرف المغالاة، و لا المبالغة التي تخرج عن الحدود ، فأدب السجن إذن وليد التجربة الشعورية المحظة.

« من مظاهر الصدق الأدبي، البوح و النجوى، و هو إفضاء بما في النفس المشحونة هموما وآلاما و قد يتخذه الشعراء ليخففون به عن ذواتهم المثقلة، فيتحدث الشاعر عن نفسه و يتحدث إليها»[1]

و هذا ما حصل مع أبي الطمحان، حيث قال في سجنه:

« أرقت و أبتني الهموم الطوارق و لم يلق ما لقيت قبلي عاشـــــــق »[2]

02- الوصف:

« الوصف مظهر من مظاهر الصدق في شعر السجون ، لأن الشاعر السجين لم يكن يفرض إرادته الفنية على الأحاسيس و الأشياء، بل كان يحاول نقلها إلى لوحاتها نقلا أمينا، فجاء الوصف مباشرا صريحا في مشاهده و ألفاظه و أضيف إليه قوة الشعور و الإحساس بالواقع، كل ذلك جعل من معطيات الحبس العارية صورا معبرة قادرة على الإيحاء بأجواء السجن الموحشة، و بعالم السجناء الغريب»[3]

و يتضح ذلك مع وصف "المنحل اليشكري" حالته في السجن و ما يقاسيه من تعذيب السجان فيقول:

« يطوف بي "كعب" في مـــــــــعد و يطعن بالصميلة في قفـــــــــــــيا »[4]

---

[1] واضح الصمد السجون، و أثارها في الأداب العربية، ص 248.

[2] نقلا عن: الأصبهاني الأغاني، ج 13، ص 11.

[3] واضح الصمد، السجون و أثارها في الآداب العربية، ص 250.

[4] نقلا عن: واضح الصمد، السجون و أثارها في الآداب العربية، ص 250.

هكذا نرى أن الواقعية و الصدق الفني هما سمة الشعر الذي نضمه الأسرى و السجناء و هم يعانون تجربة نفسية خالصة، و كان الوصف عندهم يمثل التصوير الحقيقي لواقعهم و للبيئة التي يعيشون فيها، ثم إن هناك العفوية و البساطة، و البعد عن التكلف و الزخرفة.
هذه أهم الخصائص المعنوية لأدب السجون، فما هي الخصائص اللفظية؟

ثانيا: الخصائص اللفظية:

من أهم ما يلاحظ في أدب السجون أنه كامل الصياغة، فالتراكيب تامة، و لها رصيد من المدلولات تعبر عنه، و هي الأغلب مدلولات حسية.

« و اتسم الشعر الذي نظمه الأسرى و السجناء بأنه يحمل آلام حسية، و آلام نفسية حيث كانت استجابة الشاعر للنظم في ظل التجربة استجابة عفوية، تنأى به عن الصنعة و الاختيار المقصود، لأدوات التعبير و أساليبه، فجاءت الألفاظ قريبة بعيدة عن الوحشة و الغرابة »[1]

و يجب أن نشير إلى أن السجناء في بعض الأحيان، كانوا يخضعون تجاربهم الذاتية لهدف فني مقصود، هو السمو بالنظم مضمونا و شكلا.

« و من العوامل المؤثرة في أنماط الألفاظ، البلاط الخلافي، فقد كان يتأثر بالشعر الأنيق ، فكان الشاعر السجين ، إذا اتيح له أن ينظم في الخليفة شعرا، سعى في تحبيره فيما يوافق ذوق العصر من ألفاظ مستعذبة، و تراكيب ذات إيقاع متناغم و توازن أشطر. و في بعض المحسنات البديعية التي كانت مستحبة في البلاط »[2]

و اللافت أيضا في الخصائص اللفظية ظاهرة تكرار لفظة معينة تهم الشاعر أكثر من سواها، فهو يريد أن يسلط الضوء على نقطة حساسة في التعبير اللفظي، و يكشف عن اهتمامه بها، ويبني من وراء ذلك التأثير على السامع لجذبه و مشاركته ما يعاينه بطريقة و لا شعورية، والتكرار موجود في العديد من القصائد.

وعن السجن عند الفرزدق في مدحه مالك بن المنذر حيث قال:

« يا مال هل مهلكي ما لـم أقـــــــــل و ليعلمنّ من القصائد قبلـــــي
يا مال هل لك في كبير قد أتت تسعون فوق يديه غير قليلــي »[3]

و قد لاحظنا فيما ذكرناه عن أدب السجون، وجود الكثير من الألفاظ الدالة على القسم عند كثير من الشعراء الذين قاسوا تجربة السجن، و هذا القسم استعملوه للتأكيد على ما يقولونه، و لتبرئة أنفسهم مما نسب إليهم من تهم. و من بين الألفاظ التي استعملها جل الشعراء المساجين إن لم نقل جميعهم مثل: السلاسل، القيود، الأغلال، الحديد، الدهر، الليل، البكاء، الدموع، السجن، الباب الضيق، اليأس، الموت الرحمة، الظلم...إلخ و ما إلى ذلك من الألفاظ و التعابير التي تمثل نفس الشاعر الحزينة و محنته القاسية.

أسلوب أدب السجون:

مما تقدم، نلاحظ تواتر الأساليب الإنشائية، و طغيانها على الأساليب الإخبارية لأن صيغ النداء و صيغ الاستفهام البلاغي، و صيغ الأمر تتبوأ المرتبة الأولى في هذا النوع من الشعر، وهذا ما جعله مثيرا للعواطف.

و إذا تمعنا النظر في شعر السجون نلاحظ أنه لا تخلو قصيدة من صيغ النداء و الاستفهام البلاغي و الأمر و الطلب، و كل الأساليب الإنشائية الأخرى من: تمن و رجاء، و تعجب ودعاء... إلخ

و من أمثلة ذلك نجد الشاعر الحطيئة الذي أقذع في الهجاء، فسجنه الخليفة "عمر بن الخطاب" فأخذ ينشد فيه قصائد في المديح و الاستغاثة، و لكن الخليفة لم يلتفت إليه إلا حين قال:

---

[1] المرجع السابق، ص 252.
[2] المرجع نفسه، ص 253.
[3] الفرزدق، ديوان الفرزدق، ص 258.

« ماذا تقول لأفراخ بذي مـــــــرخ زغب الحواصيل لا ماء و لا شجر؟ »[1]
فأفرج عنه و زاد على ذلك إذ أعطاه ثلاثة آلاف درهم ، فلماذا هذا العطاء؟
لأن الحطيئة هنا استعمل صيغة الاستفهام التأنيبي مما حرك أحاسيس الخليفة و أثار عواطفه.

شعر الأسر و السجن:

01 - القصائد التقليدية:

حين ننظر في شعر الأسر و السجن، من الزاوية التي تطلعنا على بنائه الخارجي، فأول ما يلفتنا فيه أنه شعر مقطوعات، و لسنا نعني بهذا انعدام القصيدة فيه، إنما نعني ذيوع المقطوعة أكثر من ذيوع القصيدة.

« و شعر الأسر و السجن، لا يلتزم بصورة عامة بجوهر الطابع التقليدي، بل يكاد يعارضه معارضة واضحة، لأننا نجد ذلك الشعر لا يتجه إلى طابع القصائد التي تشتمل على عناصر وأغراض متعددة و إنما تلتزم القصيدة المقطوعة فيه عرضا واحد »[2]

و ربما كان سبب ذلك طبيعة حياة السجن، تلك الحياة القلقة المضطربة، حيث كان يعيش تحت هاجس الموت و يتعرض للعذاب فلا يعقل و هو على هذه الحال أن ينصرف إلى نظم القصائد الطويلة التي تتلائم، مع عمود الشعر ، وقد يكون طبيعيا أن تنتج من هذه الحياة لونا من الفن السريع الذي يسجل فيه الشاعر ما يضطرب في نفسه من مقطوعات قصيرة موجزة، و هي موافقة للخواطر و المشاعر التي تلم بالأسير أو السجين، فيصوغها في أبيات موجزة، معبرة واضحة الغرض.

« و من تلك القصائد التقليدية في أدب السجون ، قصائد لعدي بن زيد التي أرسلها إلى الملك النعمان من سجنه منها "عبرة الدهر" و التي استعملها بوصف العارض و برقه و رعده و مطره و الغيوم، و انتقل للتحدث عن صروف الدهر، و مصير الهرم و الغناء المحتم و قد أورد أسماء الملوك و الأباطرة و الأكاسرة، و عدي بذلك يذكر الملك بالسلف ليكون خير خلف، و يطلق سراحه، و قد اتخذ من ذكر العارض و وصف البرق و الرعد و المطر مسلكا له و هو في السجن ليصور تقلبات الأيام من خلال نظره في تقلبات الجو »[3]

02- المقطوعات:

---

[1] الحطيئة ، ديوان الحطيئة، برواية و شرح ابن سكيت، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، (د ط) 1424ه،2004م، ص220.

[2] واضح الصمد، السجون و أثارها في الآداب العربية، ص 261.

[3] المرجع نفسه، ص 262.

تجدر الإشارة هنا إلى أن شعر الأسر و السجن فيه ضربان من القصائد الطويلة المسماة بعمود الشعر القديم، و الضرب الثاني هو القصائد القصار أو المقطوعات . و لعل المقطوعات هي أكثر ما نظم في السجن و هي موافقة للأحاسيس، و الخواطر التي تلم بالسجين، فيصوغها في أبيات موجزة معبرة . حيث نجد فيها الصورة الصادقة لواقع الحياة التي يعيشوها.

و مع قصر أشعارهم و تخلصهم فيها من المقدمات التقليدية فقد أهملوا أيضا الأجزاء الموروثة التي تليها من قبل مثل وصف الرحلة و الناقة على أنهم لم يهملوا وصف المرأة و وصف الطيف.

و بذلك « اتسم شعر السجن بشعر المقطوعات التي خالفت التقاليد القديمة، حيث الحذف والمهارة الفنية و الأغراض ، و بعدا عن الصناعة و التكلف، و تتمثل في تلك المقطوعات وحدة الموضوع و التجربة الشعورية الصادقة على ما فيها من سرعة و إيجاز.

فهذا اللون من الشعر تهتف به النفوس المتألمة في المواقف الحرجة أو البائسة عفو البديهة بدافع الخوف و الرهبة أو الرغبة و الرجاء، ينبثق انبثاقا حرا بتأثير المعاناة و الضغوط المرهفة على النفس، فهو كدفقة المطر من السحاب.

ربما كانت فيها تلك المقطوعات صادرة عن المعاناة و التجربة الشعورية الخالصة، فقد استوى فيها التفوق بين صغار الشعراء و كبارهم. و حققوا في التآلف بين الرغبات والمشاعر براعة محدودة، و ظفر بعضهم بحريتهم من جراء هذه البراعة. و هذا ما حصل مع "الأعشى ميمون" حيث استغاث " بشريح بن السموأل" و كذلك "جويرة بن بدر الدرامي" الذي أسر يوم الوقيط أسرته " بني عجل" »[1].

و من مزايا شعر المقطوعات أنها على إيجاز تصل إلى غرضها توا في منحى من القول يجمع الأفكار في توجيه مباشر نحو الهدف، فإذا بضعة أبيات تحوي من مضمون الفكر والشعور مالا يقل عن جملة قصيدة في موضوعها.

« و قد جاءت هذه المقطوعات في الأغراض المعبرة التي عرضت لها قصار القصائد و كبارها من مدح و استعطاف و ووصف المرأة و عذاب و أحزان و تحد و عتاب و توسل، و وصف الأشواق و نكد السجن و مساوئه »[2]

و الحق أن هذه المقطوعات ذات قيمة أدبية، و قيمة فنية ممتازة، ففي لباب التجربة النفسية ينطلق فيها التعبير رسلا سهلا، شفافا موحيا.

و من الطبيعي أن يكون أبيات تلك المقطوعات متلاحمة و متماسكة، تتمثل فيها الوحدة الموضوعية بأجمل صورها، فلا تفريغ في المعاني و لا تعدد في الأجزاء و لا أدوات الربط بينها.

---

[1] واضح الصمد ، السجون و أثرها في الآداب العربية، ص 267.

[2] المرجع نفسه، ص 264، 265.

إن شعر السجون ميلاده السجن، و السجن عرفه الإنسان منذ أن استوطن الأرض ثم تطورت بتطور الحضارات و رقي المجتمعات تبعا لتغير الظروف و الأفكار، و سنفصل الحديث عن شعر السجون عند العرب من الجاهلية إلى العصر الإسلامي، مرورا بالعصر العباسي فالأندلسي وصولا إلى العصر الحديث.

فهذه العصور تعرض قسم من شعراءها لعقوبة السجن و الأسر، و مختلف أنواع التعذيب وجاء على ألسن هؤلاء كثير من الشعر الرائع في وصف السجون و وصف ألامهم و معاناتهم، وحنينهم إلى الحرية و الأوطان و في التعبير عما يخالج نفوسهم من أحاسيس و تأملات، فترى أن شعرهم صادق نابع من نفس متألمة.

و الشعر عند هؤلاء وسيلة للترفيه عن أنفسهم، بعدما كانت وسيلة لإيصال معاناتهم إلى من يتمتعون بالحرية أكثر منهم.

إن هذا الشعر المتناثر هنا و هناك، في ثنايا الكتب فحاولنا أن نجمع ما يناسب موضوعنا و أن نلملم ببعض الشعراء الذين كتبوا في هذا النوع على مر هذه العصور.

و أول عصر استهلنا فصلنا هو العصر الجاهلي.

01 - شعر السجون في العصر الجاهلي

لا شك أن استقراء الشعر العربي خلال العصر الجاهلي يكشف لنا عن العديد من القصائد المنظومة داخل السجن ، إذ لم يعرف عند العرب منذ الجاهلية سجون مخصصة، لهذا الغرض فالمعاقب أو السجين كان يحتجز حسب ما توفره الظروف، إما في خيمة أو في دار أو في مكان للحبس، فإن المفهوم المعني له كان حاضرا و يبرز ذلك خاصة في أشعار السجناء الجاهلين.

فمن هم هؤلاء الشعراء؟ و ما هي الحصيلة الأدبية من تلك السجون؟

عدي بن زيد العبادي:

« عدي بن زيد العبادي التميمي شاعر فصيح من شعراء الجاهلية، حيث كان نصرانيا من أهل الحيرة، أتقن الفارسية و العربية، و كان من أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، اشتهر عدي عند كسرى، حتى صار النعمان بن المنذر ملكا على الحيرة، ثم أوقع الوشاة بين عدي و النعمان الذي قبض عليه و أودعه السجن » [1]

[1] نقلا عن: واضح الصمد في كتابه السجون و أثرها على الاداب العربية، ص 108.

فجعل عدي يقول الشعر و هو في الحبس و مما قال:

« ليت شعري عن الهمام و يأتيـ ك بخير الأنباء عطف الســـــؤال
ليت أني أخذت حتفي بكفّـــــي و لـم ألـق ميتـة الأقتـــــــــــــــــال
محلو محلهم لصرعتنا العـــــــا م فقد أوقعوا الرحى بالتقـــــــــــــال »[1]

يوجه عدي كلامه إلى الملك النعمان مشيرا إلى أن الجواب الصحيح يكون بعد طرح السؤال، وكأنه يلمح إلى أنه أودع السجن دون أن توجه له أي تهمة، و من دون أن يتاح له الوقت للدفاع عن نفسه ثم يتمنى لو أنه انتحر قبل أن يعرف أنه سيلقى في السجن ميتة الأعداء.

و قال أيضا:

« ارقت لمكفهربات فيـــــــــــــــــه بوارق يرتقين رؤوس شيـــــــــــــــــب
نسعى الأعداء لا يألون شرا على و رب مكة و الصلـــــــــــــــــــب
أرادوا كي تمهل عن عـــــــــدي ليسجن أو يدهذه في القلـــــــــــــــب
ألا من مبلغ النعمان عنـــــــــي و قد تهدى النصيحة بالمغيـــــــــــب»[2]

أنّها قصيدة استعطاف بوجهها عدي من سجنه إلى الملك النعمان، و قد ضمنها تذكير للملك بمساعدته له يوم اشتد عليه المنافسون.

طرفــة بن العبد

« هو عمر بن العيد بن سفيان ... بن بكر بن وائل ، لقب بأشعر الشعراء بعد امرئ القيس قال الشعر و هو صغير و هو ابن ستة و العشرين ، و كان سبب قتله خلاف مع الملك عمرو بن هند بسبب هجائه له، لكن قبل قتله قام بسجنه » [3] و لطرفة شعر ينسب إليه و هو في السجن:

« أسلمي قومي و لم يغضبوا لسؤة حلت بهم فادحـــــــــــــــة
كم من خليل كنت خاللتـــــه لا ترك الله له واضحـــــــــــــة
كلهم أروع من ثعلـــــــــــــب ما أشبه الليلة بالبارحـــــــــــة »[4]

هكذا كان طرفة وحيدا قبل أن يسجن وفي سجنه أضحى وحيدا أكثر، لذالك يقول ما "أشبه الليلة بالبارحة " إنما تلك الوحدة تختلف عن تلك، لأن الحرية مقيدة وحياته مهددة . فهو مضطرب حاقد، ناقم على أهله الذين خذلوه ولم يثور لأجله.

ومما نسب إليه وهو في السجن، يخاطب "عمرو بن هشام"

« ألا إعتزليني اليوم يا خول أو غضي فقد نزلت حدباء محكمة الغـــــــــــــض
أبا المنذر كانت عزورا صحيفتـــــــــي ولم أعطكم بالطوع مالي ولا عرضـــــــــي
خذوا حذركم أهل المشقر و الصـــــــعا عبيدا سد و القرض يجّزي من القــرض

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني ، الأغاني مصور، عن دار الكتب مؤسسة الجمال الطباعة و النشر بيروت، (دط) (دت) ص 110.

[2] نقلا عن: واضح الصمد، السجون و أثرها ، ص 110.

[3] محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ق.ش محمود محمد شاكر(مطبعة المدني) القاهرة، ج19 (دت) ص 54.

[4] طرفة بن العبد، مهدي محمد ناصر الدين ديوان طرفة بن العبد ، دار الكتب لعلمية بيروت لبنان ط3 ،1423ه ،2002م، ص7.

هما أورداني الموت عمداً و جـــــــــــرداً على الغدر خيلا ما تمل من الركـــــض»[1]

و في هذه الأبيات يطلب طرفة من خولة اجتنابه اليوم لابتلائه بمصيبة كبيرة أما المصيبة الكبرى هي انتظاره للموت القريب و هو في السجن .

و إذا كنا نشك في تفصيلات رواية مقتل طرفة، فلا شك أنه قتل في ربيع العمر دخل السجن ولم يخرج منه، و يبدو أنه قال شعرا رائعا عندما أحاط به الموت.

البراء بن قيس

البراء بن قيس بن الحارث بن الملك، رئيس كندة يوم الكلاب الثاني ، تعرض للأسر، أسره الأهتم و هو سنان بن منقر

حيث قال في زوجته حذفة و هو محبوس عند كسرى أنوشروان يقول:

« يا دار حذفة باللّوى فالمجدل فجنوب أسمة فقف العنصل

بل لا يغرّك من خليل صالح إن لم يلاقك بـــعد عام الأوّل

كانت إذا غضبت علي تظلمت و إذا كرهت كلاهـــــــــــــما لم تثقل

و إذا رأت لي جنة عملت لـــــها و متى تغنى بعلم شيء تســــــــــأل »[2]

« هذه القصيدة كتبها و هو في السجن، بعيدا عن الأهل ، و هو في وحدته القاتلة استيقظت لديه ذكرى زوجته، فخاطب دارها واصفا إياها فصورها بصورة المرأة الحكيمة العطوف التي تشارك زوجها عواطفه و أحاسيسه ، أفراحه و أقراحه ومشاغله و همومه» [3]

و السؤال الذي نطرحه هنا، هل هذه الصورة التي صورها الشاعر عن زوجته هي نفس الصورة التي كانت في مخيلته قبل السجن؟ أم أن السجن هو الذي هيّج نفسه و أثار مشاعره فصوّر لنا هذه الصورة؟

و الجواب هو، محنة السجن، و شعوره بالوحدة، و البعد عن المرأة كل ذلك كان باعثا في تحريك مشاعر الشاعر، فجاءت صورتها في مخيلته، فالإنسان لا يعرف قيمة الشيء إلا إذا فقده.

شعر السجون في صدر الإسلام و الأموي:

[1] المصدر نفسه، ص 53، 54.

[2] ياقوت الحمري ، معجم البلدان ، دار صادر بيروت، 1977م، ص 57.

[3] واضح الصمد، السجون و أثرها في الأداب العربية، ص 104.

إن التشريع الإسلامي الذي كان يستند إليه السجن هو القرآن الكريم و السنة النبوية ثم اجتهاد الفقهاء، و لعل أبرز مبادئ هذه المدونة هو القصاص بعد ثبوت الإدانة، لذلك لم تكن هناك حاجة ماسة للسجون إلا للمخالفات التي لم تضع لها الشريعة حدا. كما أن الخمرة كانت سببا مهما إلى دخول السجن في صدر الإسلام و زمن الخلافة الإسلامية و تميزت سجون بني أمية بالكثرة و التنوع سببا تزايد الخصومات السياسية و القبيلة و المذهبية، سواء في عهد معاوية أو يزيد، فقد سجن الكثير من الخوارج و العلويين و توالى سجن معارضين في الولاة بعدها إلى أن بلغت العناية بالسجون أشدها في عهد " الحجاج بن يوسف الثقفي" الذي عني بنائها و تفنن في تنظيمها، و نسبت إليه سجون كثيرة. و هؤلاء أهم شعراء هذا العصر.

أبو محجن الثقفي

« أبو محجن عمرو بن عمير من ثقيف من الطائف، شاعر مخضرم،فارس شجاع لما أسلم أهله أسلم معهم، لكنه لم يترك شرب الخمرة و لما كثر شربه، أقام عمر بن الخطاب عليه الحد فنفاه إلى جزيرة يقال لها " حضوضي" ، لكن شاعرنا هرب من منفاه على ساحل البحر ولحق بسعد بن أبي وقاص الذي كان يقاتل العجم يوم القادسية» [1] و كان أبو محجن محبوسا مغلولا في أسفل القصر الذي كان يقيم فيه سعد قال:

« كفى حزنا أن تردي الخيل بالقـــــــنا وأترك مشدوداً علي وثاقـــــــــــيـا

إذا قمت عناني الحديد و غلقـــــت مصارع من دوني تصم المناديا

و قد كنت ذا مال كثير و أخـــــــوة فقد تركوني واحدا لا أخـــــــــاليـا

و قد شفت جسمي أنثى كل شارق أعالج كبلا مصمتا قد برانيـــــا»[2]

و في هذه الأبيات وصف شاعرنا حاله و هو في السجن يرسف قيوده حيث يسمع وقع الحديد، و شدة البأس في فوض هذه المعركة ، فتحركه نخوته في قتال الأعداء لكن زوجة سعد ترفض فك قيوده فيكون مكسور الخاطر، حينها تزداد مأساته و قد كان في الماضي كثير الأهل والأصدقاء و المال اليوم أصبح وحيدا هزيلا مقيدا، ثم يقسم بالله إن أخرج عنه بأنه لن يعود لشرب الخمرة، فتتأثر زوجة سعد بشعره فأطلقته، و هو الآخر أبلى بلاء حسنا " و انتصر المسلمون على الفرس و رجع أبو محجن إلى محبسه، فقال له سعد بعد أن عرف أمره « لاضرتك في الخمر أبدا ، قال أبو محجن: " و أنا والله لا أشربها أبدا » [3]

فهذه القصيدة التي كتبها في السجن ، هي التي رقت قلب زوجة سعد و فتحت قيده، و أوصلته إلى ترك الخمرة.

الحكم بن عبدل

« هو الحكم بن عبدل بن جبلة بن .... أسد بن خزيمة، شاعر مجيد، كان أعرج، من شعراء الدولة الأموية، و كان للحكم صديق أعمى اسمه "أبو علية" في يوم خرجا من منزلهما لزيارة أهلهما ، فكان الحكم يُحمل لأنه مقعد، و أبو علية يقاد لأنه أعمى فلقيهما صاحب العسعس بالكوفة فحبسهما » [4] فلما استقرا في السجن نظر الحكم إلى عصا أبي علية موضوعة إلى جانب عصاه فضحك و قال:

« حبسي و حبس أبي عليّ ـة من أعاجيب الزّمان

أعمى يُقاد و مُقعـــــــــــــد لا الرجل منه و لا اليدان

هذا بلا بصر هنـــــــــــــا ك و بي بخب الحاملان

---

[1] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة د عبد الحليم النجار ، دار المعارف ،الطبعة 4، مصر، سنة 1977 ص 167.

[2] نقلا عن:الأصبهاني الأغاني، ص 3 ج، 19.

[3] نقلا عن: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص 269.

[4] نقلا عن:أبو الفرج الأصبهاني- الأغاني- ج2، ص 404.

يا من رأى ضب الفـــــــلا ة قرين حوت في المكان »[1]

هي أبيات كتبها وهو مستهزءا من سجنه كونه سجن لسبب تافه وقد قالها عندما نظر إلى عصا أبي علية موضوعة إلى جانب عصاه.
و كان اسم أبي علية الخفيفي هو "يحى" فقال الحكم فيه يصور حالتهما في السجن:
« أقول ليحى ليلة الحبس ســـــــــــادرا و نومي به نوم الأسير المقيـــــــــــد
أعنّي على رعي النجوم و لحظها أعنك على تحبير شعر مقصـــــــــــد
ففي حالتنا عبرة و تفكـــــــــــــــــــر و أعجب شيء بس أعمى و مقعد
كلانا إذا العكاز فارق كفـــــــــــــــه ينيح صريعا أو على الوجه يسجـــد
فعكازة تهدي إلى السبل أكمهـــــــــا و أخر مقام الرجل قامت مع اليـــــد»[2]
و في صباح اليوم التالي أخلى سبيلها بعدما عاشا ليلة شاعرية في السجن و لا شك أن هذه الليلة تختلف عن ليالي المساجين الذين عاشوا السجن تعذيبا و تنكيلا.
إنما يبقى السجن سجينا يعاني فيه السجين حجز لحريته بعيدا عن الأهل و الأحباب و يحتوي شيء من الرهبة و الخوف و القلق.

الحطيئـــة

« هو جرول بن أوس بن جؤبة بن ..... عبس بن ..... عدنان، و كان ينسب نفسه من قبيلة إلى أخرى في أثناء تجواله حسب الحاجة شاعرنا مخضرم، يكني "أبو مليكة" و لقبه الحطيئة و ذلك لقصره الشديد، كان جوالا يمدح الأشراف، فيأخذ منهم العطايا و المنح، وإن امتنعوا عن اعطائه كان يهجومهم هجاءا مرا مقذعا، و لم يسلم من هجائه أحد، فهجا أمه و أباه و نفسه و أولاده» [3]
و أكثر الحطيئة من هجاه " الزبرقان بن بدر" فشكاه إلى عمر بن الخطاب ، فسجنه بالمدينة، فقال الحطيئة في سجنه:
« أعوذ بجدك إني امـــــــــرؤ شفتني الأعادي إليك السجالا
تحنّن علني هذاك المليك فإنّ لكل مقام مقـــــــــــــــــــالا
ولا تأخذني بقول الوشـــــاة فإن لكل زمان رجـــــــــــــــالا » [4]
لكن عمر لم يلتفت إليه إلا حين قال:
« ماذا تقول لأفراخ بذي مـــــــــــــــرخ زغب الحواصل لا ماء و لا شجـــر؟
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمـــــــــة فاغفر عليك سلام الله يا عـمـــــــــــر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقى عليك النهى البشـــــــــــــــــر
ما آثروك بها إذا بايعوك لهـــــــــــا لكن لأنفسهم كانت بك الأثـــــــــــــر» [1]

---

[1] نقلا عن: المصدر نفسه، ص 405.
[2] نقلا عن: المصدر نفسه، ص 406.
[3] الحطيئة، ديوان برواية و شرح ابن سكيت، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، (دط) ،1424 هـ 2004 م، ص13
[4] المصدر نفسه، ص 281.

فعفى عمر عن الحطيئة، و أخذ على أن لا يهجو أحدا من المسلمين بعد أن اشترى منه أغراضهم بثلاثة ألاف درهم يستغني بها عن الهجاء.

و في هذا الأبيات يخاطب الحطيئة عمر الخليفة العادل، الذي هو مسؤول أمام الله عن رعيته فردا، فعليه أن يوصل كل ذي حق حقه ، فكان الحطيئة في هذه الأبيات يناقشه: ماذا يقول لأطفال صغار تركتهم بأرض لا ماء فيها و لا شجر، و حبست من يسعى لهم بقوتهم في سجن مظلم.

و أنت الإمام العادل؟

و كأنه يقول : إن لم أكن أستحق العطف و العفو، فأعفو عني من اجل هؤلاء الأطفال و بلغ غايته، إذا أفرج عمر عنه.

الفــرزدق

« هو همام بن غالب بن صعصعة من دارم، من تميم كنيته أو فراس و لقبه الفرزدق ولد بالبصرة و ترعرع في باديتها ، نظم في الفخر الذي كان أساسا في هجاءه جاء شعره جزلا فخما ، وعن جرير أنه قال" نبعة الشعر الفرزدق»

و لقد حبس الفرزدق حينما هجا نهر أمير المؤمنين بقوله:

« أهلكت مال الله في غير حقه على نهرك المشؤوم غير المبارك »[2]

لكنه عندما أودع السجن، و رأى الغضب على وجه مالك انقبض من الخوف، و أحس بدنو اجله فراح يستعطف مالكا، و يغالي بمدحه.

و بهذا تمكن الفرزدق من إسكات ثورة غضب مالك بمديحه له، لكن الفرزدق جن جنونه وهو في السجن فصار يقول القصيدة تلوى الأخرى، فمدح مالكا حيث قال:

« و قرم بين أولاد المعلـــــــــــــى و أولاد المسامعة الكـــــــــــــــرام

تخمط في ربيعة بين بكـــــــر و عبد القيس في الحسب اللّهام »[3]

و كان يجسم خوف الناس من مالك في كلمات حية فيقول:

« رأيت أبا غسان علق سيفـــــــــــــــه على كاهل شعب على من يشاغبه

ترى الناس كالدعى له و قلوبـهم تندى، و ما فيهم عريب يخاطبـــــــــه

أذل به الله الذي كان ظالـــــــــــــما و عز به المظلوم و اشتد جانبـــــــــــه »[4]

لكن كل هذا المدح و الاهتمام لم يفده، فأخذ ينفى التهمة عن نفسه، فلجأ إلى القسم و تصوير سوء حاله في السجن ليستعطف مالك فيقول:

« خلفت برب الجاريات إذا جرت و حيث دنت من مروت البيت زمزم

لما زادني من خشية إذا حبستني على الخشية الأولى التي كنت تعلم»[5]

« و لم ييئس الفرزدق ، بل ظل متأثرا حتى يتحصل على مبتغاه و هو حريته و وسيلته في ذلك لسانه و قصائده، و هو في هذه القصيدة لجأ إلى أسلوب طرق أبواب الموت فستعان بقبر" منذر" و هو أبي مالك ممسكا بأكفائه، ثم يعود ليلقى اللؤم على الوشاة، شأنه في ذلك شأن معظم الشعراء، المساجين فينكر ما نسب إليه و ينفي التهمة عن نفسه» [6]

---

[1] المصدر نفسه، ص 9.

[2] الفرزدق، دار صادر بيروت، (ط1) 1427 هـ - 2006، ص 291.

[3] المصدر نفسه، ص 444.

[4] المصدر نفسه، 43.

[5] المصدر نفسه ، ص 249.

[6] واضح الصمد، السجون و أثرها في الآداب العربية، ص 143.

و بعدها يتساءل إن كان سيطلق سراحه و يحاول إغراءه بشعره و مدائحه. و في الأخير يعود إلى تصوير سوء حاله و هو في السجن ليستدر عطف مالك فيخبرنا أنه يعاني من القيود، يبيت ساهرا من شدة الألم و العذاب كما أن مأساته كبيرة خصوصا فيما تعانيه رجلاه من القيود بالأغلال ، التي لو كانت على جبل صم لتحطم و من سجنه المظلم، من وراء القضبان تتفجر شاعرية الفرزدق و هو يعاني من الآلام ، هذا ما جعله ينظم قصيدة تلوى الأخرى .

و عندما لم يصل إلى غرضه ، توجه إلى مدح"خالد القصري" يقول:

« ألكني إلى راعي الخليفة و الـذي له الأفق و الأرض العريضة نورا
لقد زعموا أني هجوت خالـــــــــــد له كل نهر للمبارك أكـــــــــــــــنزا
إذا قال راو معد قصيـــــــــــــــــــدة بها جرب كانت علي بزوبـــــــــــــرا »[1]

إن الفرزدق يوجه رسالته إلى راع الخليفة الذي شق النهر المبارك و يتنصل مما نسب إليه من هجائه و هجا النهر معلنا أن غيره هو الذي نطق بذلك الشعر الهجائي و لا يجوز أن يتحمل هو مسؤوليته.

ثم يحاول أن يعد الفوائد التي تعود على الناس من حفر النهر حيث يقول في قصيدة أخرى:

« أعطي خليفتنا بقوة خالـــــــــــد نهرا يفيض له على الأنهـــــــــــار
إن المبارك كإسمه يسقى بـــــه حرث الطعام و لاحق الجبّـــــــار
لما تدارك للمبارك مـــــــــــــــده رفض الطعام لما يح و تجـــــــار
يا دجل إنّك لو عصيت لخالد أمرا سقيت بأملاح الأمـــــــــــرار» [2]

و في هذه الأبيات يغير الفرزدق رأيه في النهر فيمدح الخليفة، و يثنى على الأمير خالد، و تعدد منافع النهر فهو الذي قال :

« أهلك مال الله في غير حقـــــــــه على نهرك المشؤوم غير المبارك» [3]

فهذا التغيير يأخذنا إلى التساؤل التالي:

هل حقا تغيرت نظرة الفرزدق إلى النهر؟ أم أن لظروف السجن تأثير على نفسه وأحاسيسه فنقلب رأسا على عقب؟

و في رأي الخاص أن الآلام و الأغلال و القيود، و حجز الحرية دفعت الفرزدق إلى النفاق والكذب ليحصل على الحرية.

شعر السجون في العصر العباسي:

عرفت مؤسسة السجن في هذه الدولة المترامية الأطراف و المتخذة الأسباب التقدم والنهوض في شتى مجالات الحياة تطورا ملحوظا و قد عرفت مزيدا من الضوابط و التنظيمات هذا ما يفسر تخصيص السجون في هذا العصر حيث وجد سجن "الجرائم" و سجن "الزنادقة" و سجن "الثوار" على الحكم ....الخ

و الدارس للأحوال العامة في هذا العصر يلاحظ نمو ظاهرة السجون، و كان لشعراء العصر العباسي دور في نمو هذه الظاهرة التي كان لها نصيب كبير من الشعر ففي العصر العباسي نجد حوالي أربعين شاعرا سجنوا لأسباب مختلفة .

---

[1] الفرزدق، الديوان، ص 178.
[2] المصدر نفسه، ص 163.
[3] المصدر نفسه، ص 191.

وكثيرا من هؤلاء الشعراء من وظف شعره في تصوير انفعالاته، و تشخيص أماله و ألامه، وسنتطرق إلى بعض الشعراء الذين صورا محنة السجن و الأسر، و من بينهن بذكر:

أبو فراس الحمداني :

« فارس أخر من فرسان الشعر، عاش حياة الغربة وظل ينشد في الحنين إلى الوطن ، ذلك هو الفارس البطل أبو فراس الحمداني توفي (ت357)، و هو ابن عم سيف الدولة الذي كان فارسا شجاعا كريما ، و في إحدى الغزوات التي كان يقوم بها أسر أنو فراس و بقي سجينا يعاني ، فصو معاناته في شعره الذي عرف بالروميات »[1]

و لعل أصدق ما جاء في شعره الوجداني، الروميات التي كتبها و هو في الأسر عند الروم، وسنعرج على بعض هذه القصائد و أشهرها هي قصيدة الحمامة الباكية التي يقول فيها:

هل تشعرين ! « أقول و قد ناحت بقربي حمامـــــــــــة أيا جارتي بحالـــــــي ؟

معاذ الهوى ؟ ما ذقت طارقة النوى و لا خطرت منك الهموم ،ببـــــــــال

أتحمل مخزون الفؤاد قـــــــــــــــــوادم على غصن نائي المسافة، عالـــــــي

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننـــــــــا تعالي أقاسمك الهموم، تعالـــــــــــــي![2]»

« القصيدة تعبر عن حالة من النجوى و الوجد و الحنين و شعور حاد بالضعف و الهزال، و لشدة إخلاص الشاعر و صدقه فيما يقول جاءت معانيه نفسية مباشرة. فهذه التجربة النفسية أحاطت بنفسيه و سيطرت على وجدانه و جعلته ينظر إلى ما يلم به العالم الخارجي نظرة خاصة، مرتبطة ارتباطا حميما بواقعه و نفسه ، لهذا ترائى للشاعر أن الحمامة على غصن " نائي المسافة عالي" فالنائي و العلو هما صورتان من صور الخلو النفسي، تولد من حسرة الشاعر على الحرية، فترى أن الشاعر قارن نفسه المقيدة بالحمامة ، حمامة الحرية و السعادة ، لها جناحا الأمل و هي ترفرف كما تشاء ، عكسه هو فتوهم أن الحمامة في منحى من الأسر و القيد»[3]

إن الخواطر التي ألم بها أبو فراس في هذه القصيدة تظهر لنا أنه قصر السعادة على الحرية، والهموم على الأسر معلل ذلك جميع ما يراه و ما يحيط به فهو يعجب من بكائها بقوله:

« معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى و لا حظرت منك الهموم ببالـــــي

أتحمل مخزون الفؤاد قـــــــــــــــــوادم على غصن نائي المسافة عالـــــي» [4]

إن هذان البيتان يعبران عن فردية و واقع أبو فراس، و لعل ذلك يمثل آفة وجدانية تفتقر إلى الشمولية و الكلية و إن كانت مشبعة بالذاتية، فأبو فراس لا ينظر إلى الوجود بصورة عامة، وإنما إلى وجوده الخاص لهذا ظل يرى هو وحده في السجن و لم يستطيع أن يتعمق في تجربته، فالحياة بالنسبة له ليست سوى سجن كبير ذي قضبان حديدية.

و تبدو لنا حالة الشاعر في نهاية قصيدته حالة يائسة ذات ملامح عابسة غير أنه لا يستسلم، يشقى و لكنه لا يهون.و لما طال فؤاده انطوى على نفسه يقول هذا الشعر مفتخرا:

« أسرت و ما صحبي بعزل لدى الوغى و لا فرس مهر و لا ربه غمـــــر

و لكن إذا حم القضاء على امـــــــــــرئ ليس له بر يقيه و لا بحـــــــــــــــر

---

[1] يحى الجبوري، الحنين و الغريب في الشعر العربي، ص 123.

[2] أبو فراس الحمداني ، ديوان تحقيق يوسف شكري فرحات، دار الجيل بيروت، ط3، 1426- 2005، ص 267.

[3] إليا الحاوي، في النقد و الأدب العصر العباسي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1980، ج3، ص 288- 289

[4] أبو فراس الحمداني ، الديوان ، ت يوسف شكري فرحات، ص 267.

و قال أصحابي الفرار أو الـــــــــــــــردى فقلت: هما أمران أحلاهما مـــــــر »[1]

في هذه الأبيات تظهر نفسية أبي فراس التي تكاد لا تضعف وهو يفتخر بأسره فهو فضل الموت على الذل ونراه في البيت الثاني و الثالث يحاول أن يرفع مسؤولية الأسر عن كاهله، فلم تطق نفسه و حاولت أن تتحرر منه بهذا التبرير.

يقول أبو فراس و هو يفتخر:

« تزعم يا ضخم اللغادير أنّنـــــــــــــــــــا و نحن أسود الحرب لا نعرف الحـــرب

فويلك من الحرب إن لم نكن لـــــــــها و من ذا الذي يضحي و يمسي لا تربا

و من ذا الذي يقود الجيش في جنباتـــــــــــه و من ذا يقود العين أم يصدم القلـــــــــب

و ويلك من أراد من أردى أخاك"بمرعش" و جلل ضربا وجه والدك الغضـــــــــــــب »[2]

« و ازدحمت في صدري أبي فراس ذكريات الحروب و هو في أسره، و ما كسب العرب من نصر على الروم فراح يذكر مفاخرة الحمدانيين في الحروب البيزنطية و أسرى الروم و أقيالهم و قوادهم بأسمائهم و أيام انكسارهم في حروب مع قومه فقال و هو يشتم الدمسق و يزجره ويقتم صورته في أول بيتا فأنه ضخم العنق » [3]

شعر السجون في العصر الأندلسي:

اتخذت الدولة الإسلامية السجون كغيرها من الدول للحاجة إلى إيقاع العقوبة على من يستحقها، و كان لكل مدينة من مدن الأندلس سجن عام ينسب إليها و كان لهذه السجون نصيب كبير للشعراء و من بين الشعراء عدد لا يحصى من كبار شعراء الأندلس و أدباءها من أمثال: يحى بن الحكم الغزال، ابن شهيد، المعتمد بن عباد، ابن حزم الأندلسي، ابن زيدون، و قد تمتع بعض هؤلاء و غيرهم في سجونهم ببعض امتيازات و منها مزية إتاحة أدوات الكتابة، مما ساعد في حفظ الكثير مما نضموا في سجنهم و قد حفظت لنا دواوين هؤلاء الشعراء وكتب التراث العديد من القصائد و المقطوعات الشعرية التي قالها الشعراء السجناء في تجربتهم

و كان جزء كبير منها في غاية الرقة، لأن التجربة كانت قاسية و مرة فكانت أشعارهم صادقة في التعبير.

و يبقى العصر الأندلسي مثل باقي العصور،الذي عاش شعراءه ويلات السجن و كبت للحريات.فمن هؤلاء الشعراء؟ و كيف كان شعرهم الذي نظم في السجن؟

- ابن زيـدون

يعتبر الشاعر ابن زيدون من أبرز الشعراء العصر الأندلسي، فهو من بين الشعراء الذين تعرضوا للسجن، فجاءت دواوينهم مملوءة بمحنة السجن و ألم الغربة و الفراق ، فهو الذي عان من هول و ويلات السجن بكل ما تحمله لفظة المعاناة من معاني الألم و الشقاء و العذاب و يقول في هذا الصدد :

« لا يهنئ الشامت المرتاح خاطـــــــــــــره أني معنى الأماني،ضائع الخطـــــــر

هل الرياح بنجم الأرض عاصفـــــــــــــة أم الكسوف لغير الشمس و القمـــــــر؟

---

[1] المصدر السابق، 181، 182.

[2] أبو فراس الحمداني ، ديوان ، تح: يوسف فرحات شكري، ص 51.

[3] زكي المحاسني شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي و العباسي إلى عهد سيف الدولة دار المعارف بمصر مكتبة الدراسات الأدبيين

إذا طال في السجن إبداعي فلا عجب قد يودع الجفن حد الصارم الذكـــــــر »[1]

و للشاعر ابن زيدون أبيات شعرية عدة تعكس بوضوح إيمانه القوي بقضيته الفردية من خلال مواجهته حدث سجنه بصبر لمحاولة استرجاع مكانته و منزلته في البلاد و المجتمع نذكر منها قوله : « ألا إن ظني بين فعليك واقفـــــــــــــــــــــا وقوف الهوى بين القطيعة و الوصل

فإن تمن لي منك الأماني فشيمـــــــــــــة لذلك الفعال الغضد و الخلق الرسل
و إلا جليت الأنسى من وحشة النوى و هل السرى بين المطيبة و الرحـــــــــــــل
سيعفى لما ضيعت مني حافـــــــــــظ و يلقى لما أرخصت من خاطري معلى »[2]

كما أن الشعراء عامة يكتسبون بالشعر، فجعل الشعر تجارة فليس غريبا أن نلمس مثل هذا الموقف الاستدلالي عند الشعراء الذين سجنوا أو اعتقلوا، فمعظم الشعراء الكبار من أمثال ابن عمار ، و ابن زيدون، و ابن الخطيب قد خرج معظم شعرهم في الاستعطاف الذليل و المهين.
و ابن زيدون نلمس في استعطافه الممزوج بالمدح و ملامح إذلال النفس من أجل إرضاء الحاكم ابن الحزم بن جهور الذي ألقى به في السجن.
و في ذلك يقول:

« تعض تنائي مثلما عض جاهـــــــــــد سوار الفتاة الرؤد بالمعصم الحـــــــــــدل
وأصدى إلى إسعافك السائع الجنى و أضحى لدى إنصافك السابع الظل
نممت إذا عهد الحياة و لا يـــــــزال مرا على الأيام طعمها المحـــــــــــــــــــل»[3]

و مثل ذلك نجد قصيدة للشاعر المعتد بن عباد المعتمدة كتبها ذليلا لبيعه نفسه إذ قال:

« نفس سجن إلى قـــــــــــــــــــــــــــــــراء تفديك نفسي من شـــــــــــــــــــــــــــــــراء
فاسبق بندقك و عهـــــــــــــــــــــــــــــــدم مسترخصا إليي بالغـــــــــــــــــــــــــــــــلاء »[4]

هي مقتطفات شعرية تعكس لنا حالة الشاعر المسجون، فحالته خارج السجن و داخله تختلف، فالشاعر إذ كانت له عزة و كرامتها فيصبح مذلولا و هذا من أجل أن ينال حريته، و إذا كان الثمن بيع نفسه.

---

[1] نقلا عن فوزي خصر ابن زيدون شاعر الحب المعذب الدار المصرية اللبنانية ط1 2002 ص 41، 42
[2] المرجع نفسه، ص 269، 290.
[3] المرجع السابق، ص 269- 270.
[4] ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية ليبيا ، تونس، ق2 م1 (د ط) 1975، ص 419- 420.

04- شعر السجون في الشعر الجزائري:

ذاقت الجزائر مرارة الظلم و سياط الإرهاب ، الذي كان في مقدمة تطلعاته القضاء على الشخصية العربية و الإسلامية و الوطنية الجزائرية، فوقمنا الجزائريون في وجه هذا المخطط، عن طريق تقديم قربان أسطوري من الدماء و الأرواح، كما سبق مئات الألوف إلى السجون.

و إذا رصدنا تطور الأدب الجزائري في تلك الفترة، نجد انه كان صورة لأوضاع العامة فيا الجزائر فكانت مواضيع الظلم و الاضطهاد بارزة في شعر الجزائريين و كانت مظامين الحنين و الاغتراب و الحرية حلقة من حلقات هذا الشعر ، فلقد تحكم الاستعمار الفرنسي في رقاب الشعب عندما أل إليه أمره، و تصرف في حريته كيف شاء، فحوله إلى غريب في وطنه داخل مساحات شاسعة من السجون، و المعتقلات.

و نعرج في هذا المبحث على أبرز الشعراء الجزائريين نادوا بالحرية و وقفوا في وجه المستعمر.

أحمد سحنون

يتميز أحمد سحنون عن غيره من الشعراء الجزائريين المسجونين، إذ أن نسبة النماذج التي عبر فيها عن غربته و ألامه و أمله داخل السجن تفوق نسبة الآخرين.

فسميت قصائده التي ألفها في السجن بـ "حصاد السجن" و هو حصاد مر علقم إذ نلمس فيه غربته و حنينه.

« إن السجن عند أحمد سحنون صراع بين ماض زاه و حاضر مؤلم يصارع فيه الويل والأسى، فينهال باللوم على زمانه لما ألحق به من الإساءة، و رغم هذا الادعاء فإن سحنون يبدوا في سجنه منفردا متميزا عن الشعراء الآخرين بإحساسه الصادق من سلوكه و نظرته للحياة، فعندما تلفه مجاهيل السجن يتحول إلى الأصدقاء و يلقي إليهم بهمومه » [1]حيث يقول:

أصدحي يا بلابل الأدواج لعناق القلـــــــــــــــــــوب و الأرواح
أنشدي لطلوع نجم من الصحب نشيد السرور و الارتـــــــــياح
ليس كالأصدقاء في الخطب و الأيام بالأصدقاء جد شجاع » [2]

كما نستطيع أن نقرأ شخصية أحمد سحنون الحقيقية من خلال قصائد المعاناة التي تعبر بصدق عن غربته بين جدران السجن ، في قصيدته(يا لها غربة) حيث تبدو هذه النفس غريبة في وطنها موثقة في سجنها تطاق إليها قسوة الجلاد فيقول:«

يا لها غربة عن الأوطان نبهت ما غفا من الأشـــــــــــــجان
غربة ضوعفت بنفي و سجن و تناهت بقسوة الســــــــــجان
شل فيها فكري و أجدب إلهامي و أودت بحكمتي و بيانـــــــي
و قريضي قد عقني و تلاشي بين جدرانها صدى ألحانـــــــــي »[3]

و الذي يؤلم الشاعر في سجنه تلك الحياة الجامدة التي يحياها بين جدران السجن فهو الواعظ المعلم القائد لكن يأتي فيه يوم لا يرى فيه إلا الذل و البؤس في هذا السجن فيقول:

« أيها المبعد في أقصى الحـــــدود
أفما تسأم من هذا الجمـــــــــــــود
أفترضي العيش في هذي اللحود
أفما ثرت على دنيا القيـــــــــــــود » [4]

« و قد قادته تجربة السجن إلى الخلود بالنفس ساعات من الزمن فيلعب الفراغ و ظلام الليل دورا فعالا في إثارة الأحاسيس و إشعال العواطف بالإضافة إلى الألم النفسي و الجسمي كما كان للواقع السياسي و الاجتماعي الخطير، و المحتشدات و السجون و القتال الدائم و الموت ولإعدام، و كل

---

[1] عمر بوقرورة الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث ص 100
[2] أحمد سحنون – ديوان – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1977م ص 77
[3] المصدر نفسه، ص 105.
[4] المصدر السابق، ص 155.

ذلك زعزع و أثار الروح لديه. و تعتبر قصيدة (الطود) التي ناجى فيها (جبل الضاية) من وراء القضبان أبلغ تعبيرا عن لحظات النفس المجاهدة التي تتخطى حواجز الأسوار لسمو إلى عالم الروح » [1] فيقول:

« أيها الواقف المطّل على الدنيا برأس متوج بالإبـــــــــــــــاء
يتحدى الردى و يهزأ بالإعصار و العصافات و الأنواء
لا يبالي صروف الليالي و لا يحفل بالحادثات و الأرزاء
أيها الطود ليت لي منك ما أوتيته من مناعة و إعلاء » [2]

يتضح لنا أن جبل (الضاية) قوي شامخ، ذو جلال و وقار و كبرياء، فهو يقف أمام نفسه الضعيفة المحبوسة بين جدران ضيقة، كأنه يحاول أن يستمد من هذا الجبل بعضا من القوة.

و في قصيدته التي تحت عنوان(رباه) يتأرجح مصيره بين الإخفاق في العودة إلى موطنه وأبنائه، و الحلم بالعودة إليهم فيقول:«

رباه طالت غيبتي عن موطني فمتى أعود لموطني ربـــــــــــاه
و متى أرى ظبيا أغن تركتـــــه قد كان يلفظ من أساه حشـــاه
و يظل يرنو للطريق فلا يـــرى في العائدين مع المساء أبـــاه » [3]

« فهو في هذه القصيدة يتمزق حسرة و ينفطر ألم و يذوب شوقا عندما يتراء له طيف أبنائه ينتظرون عودته، لكن في المغيب تجيب أملهم فتكتوي أفئدتهم، إنه يفكر بفكرهم و يرى بخيالهم ويعيش بوجدانهم لذلك تخنقه الذكرى و تقتله الحسرة » [4]

و في الأخير نلاحظ جليا و نحن نقرأ هذه القصائد، أنها لم تخل من مناجاة الشاعر لنفسه، فكان يمازج بين أحاسيسه الفردية و أحاسيسه الجماعية فبحكم موقع الشاعر المفروض عليه جبرا، والمحدد بجدران و قضبان و المستور بسجانين يمارسون عليه كل أنواع القيود ، بما فيها القيود الفكرية، فلا يتسنى للشاعر سوى الإصغاء لذبذبات نفسه النابعة من أعماقه لأعماقه.

محمد العيد أل خليفة

يأتي الشاعر محمد العيد أل خليفة في قائمة الأصوات، التي رفضت الاستعمار و عرفت بمناوءتها لسياسة النهب و السلب و الاستعباد، فسارعت السلطات الفرنسية لإخماد صوته، وفرضت عليه الإقامة الجبرية، فظل رهين الأسر حتى انبلج صبح الاستقلال.

و في بسكرة نلتقي بتلك النفس الأدبية، و هي تعيش تجربة الغربة داخل وطنها، و بين أهلها، فقد أبادتها صروف الدهر و نوائبه حين نقلتها يد الاستعمار من قمم النوادي الشامخة إلى أسفل وطأة، فيتألم الشاعر لهذا السقوط في قوله مخاطبا " بومنفوش" فيقول:

« رماني حول سفحك موج دهري أسيرا بعد أحداث طـــــــــوال
فعشت به كيونس في سقـــــــام لدى قومي و لكن في انعزال
إخال إقامتي جبرا كقبـــــــــــــر حملت إليه الجثث البـــــــــوال»[5]

« و لمحمد العيد أل خليفة قصيدتان يتيمتان هما (أبا المنقوش- و مناجاة بين أسير و أبي بشير) و فيهما يكشف عن توقه و حنينه إلى الحرية و الاستقلال و فيهما يكشف عن إحساسه الحاد بالضيق و الاستعباد » [6]

و هو يعاني في مرارة الوحدة القاتلة سمع صوت طائر صغير الحجم يعرف باسم" أبا بشير" فهاجمت كوامنة و تجاوب مع هذا الطائر حيث يقول:

---

[1] عمر بوقرورة ،الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، ص 103.
[2] أحمد سحنون، ديوان، ص 59.
[3] المصدر السابق، ص 159.
[4] عمر بوفرورة ، الغربة و الحنين في الشعر الجزائري، ص 109.
[5] محمد العيد آل خلفية – ديوان محمد العيد- ش . و . ن . ت الجزائر، 1979، ص 425.
[6] عمر بقرورة – الغربة و الحنين في الشعر الجزائري، ص 114.

« جزمت بقرب إطلاق الأسير غداة سمعت صوت أبي بشيـــر
فقمت مرحبا بنزيل يمـــــــــــن علي بكل إكرام
جديـــــــــــــــــــــــــــر
و جئت أبثه نجواي ســــــــــرا و من للحرب بالصوت الجهــيز»[1]

يتضح لنا من خلال ها المقطع محاولة الشاعر التعبير عن واقعه النفسي في سجنه من خلال استعماله رمز أبي بشير و مدلولاته، فهو يحاول الانطلاق إلى عالم الحرية و الحياة الجديدة في ظل الاستقلال.

و يبقى أن نقول عن هذا الطائر أنه قرآني المصدر، فهو صورة لقصة سليمان مع الهدهد، إذ أن كلاهما يرجو من طائرة الخبر اليقين، و يقين محمد العيد أل خليفة يكمن في الاستقلال الذي يحن إليه بشغف و حب كبيرين، و قد منحه أبا بشير ما تمناه حيث يقول:

سيحمد شعبك العقبي قريـــبا ويحرز نفسه بيد القديـــــــــــــر
و يشهد بعث دولته فيرضى و يحض بالهلالي المنيـــــــــــر
و يحكم حكمه الشورى حرا وخير الحكم حكم المستشـير» [2]

و تأتي القصيدة الثانية (أبا المنقوش) صورة لهذا الحنين إذ يتطلع فيها إلى الحرية و الإنعتاق بعد أربع سنوات من الغربة و الذل و الهوان فيقول:«

« أبا منقوش هل تدري بحالـــــي فأنت اليوم جاري في الجـــبال
ببسكرة النخيل حططت رحلي و أنت بأرضها حامي الرحـــال »[3]

و قد حاول محمد العيد أل خليفة أن ينطق الجبل لينبئه عن مصيره ومصير شعبه ليصل إلى شيء من الحقيقة التي عجزت الأحداث أن تجيب عنها، فكانت الاجابة التي توحي بقرب الانفراج و التي تأتي وراء كل استفهام يقول:

« أبا منقوش خبرني فإنـــــــــي أحب شفاه مثلك بالســـــــــــــــؤال
متى يأتي بربك نصر شعب يقاسي كل ألوان النـــــــــــــــكال »[4]

يطمح محمد العيد في سجنه إلى تقديم صورة حية للحنين إلى الحرية و الاستقلال، و هتان القصيدتان صرخة نفس وطنية جريحة ، و هذه النفس تنتظر الغد الآتي بشوق ولهفة.

عبد الرحمن العقون

« يعتبر من أهم شعراء الجزائريين المسجونين، حيث ألقي عليه القبض و حاكمته السلطات الفرنسة ، فجرب ألوانا من العذاب بين جدران السجن » و نذكر من ديوانه (أطوار) قصيدته التي نظمها في السجن" بربروس" أين اكتوى بلظى البعد و الفراق عن الأهل و الوطن يقول:

« ألا هل من الوادي الحزين لنا قرب و هل في دياج البين عن قريتي قرب
مرابع لهوى في صباي عشقتـــــــــها و ديار أحباب فؤادي بهم
حـــــــــــــــــــــــــــب
بها رفرفت نحو المعالي مطامحي و فيها لسابق الهوى خفق القلـــــب
في جنبـات الحي مهد أحبـــــــــــــــة تملت به عيني فضمتهم الشهب»[5]

و في هذه القصيدة الذاتية تعبر عن غربة الشاعر داخل السجن بربروس ، و عن حنينه إلى الأهل و الديار.

و الشاعر هنا يتطلع للحرية و الانعتاق، بعدها ضاق من حياه الغربة داخل وطنه و بين أهله، حيث نقلته يد الاستعمار من أحلى حياة إلى أسوء حال.

كما أعاد الشاعر كتابة و شرح هذه القصيدة في مؤلفه الثرى" من وراء القضبان" حيث يقول:«

---

[1] محمد العيد أل خلفية – ديوان – ،ص 422.
[2] المصدر السابق، ص 423.
[3] المصدرنفسه، ص 425.
[4] المصدر نفسه، ص 425.
[5] عبد الرحمن بن العقون:، أطوار، ش. و . ن. ت الجزائر 1980م، ص 75.

« ماذا أعد لبلاء السجن غير التعالي عن هذا الجو المربوء، و التحليق في جو روحي يخفف من الألم، و يلهي عما يدور حولي من موبقات و شرور....» [1]و نفس المضمون تحمله موشحته التي ألفها في سجن " الكدية " بقسنطينة عام 1955م، و التي قدم لها بهذه العبارة حيث يقول:« كتبت هذه القصيدة تحت تأثير حزازات حزبية و شخصية بين الرفقاء المساجين جعلت ضيق السجن ضيقين » [2]

و يقول في قصيدته هذه: « فترات من حياتي بين عباد الدمـــر
تملك الرأس مشيبا و تهش الأعظا
سيـــــــــــــما أني سجيـــــــــــــــــــــــــــــن »[3]

أبو القاسم سعد الله

يعتبر شاعر مجدد، كان أكبر الشعراء حظا في استيعاب هذا الواقع المرير، و أعمقهم حسا. فقد استطاع أن يصور واقع(الدم و الموت، و الحديد) في سجن بربروس هذا المكان الذي تحول إلى أسطورة ذعر و خوف و فزع.

توقف الشاعر عند "بربروس" فهاله الموقف الرهيب و أصابه الفزع فانطلق متسائلا:

أجـــــــــــــــــب بربـــروس ؟
أشعب تعـــذبه أو ذباب؟
أقلبا تحطمـــه أم حجر
و ماذا أأنت الجحيم الذي لا يطاق» [4]

و يحاول في هذه القصيدة أن ينقل إلى القارئ جوا تراجديا للنماذج التي تعاني من الغربة داخل السجن، باستعمال معجم الأسى و اللوعة و الدموع و العذاب و الجحيم...

و يقول أيضا: « والشعب يسبح في الدموع
و البؤس يحتطب الجموع » [5]

فصورة الشعب و هو يسبح في الدموع تخيلنا إلى الحالة البائسة للشاكي و الأيتام...

و هناك شعراء جزائريين ذاقوا الأمرين في السجون الجزائرية أو الفرنسية كثيرون نذكر منهم: أبو القاسم خمارة، عبد القادر السائحي، صالح خباشة،

---

[1] عبد الرحمن بن العقون: من وراء القضبان ش. و. ن. ت ط2 الجزائر 1969م ص 240.
[2] عبد الرحمن بن العقون، ديوان، ص 65.
[3] المصدر نفسه، ص 65.
[4] أبو القاسم سعد الله، الزمن لأخضر، م .و . ك ط1، الجزائر، 1985 ، ص 223.
[5] المصدر السابق ، ص 123.

الفصل الثاني

التعريف بديوان "اللهب المقدس

« إن ديوان اللهب المقدس هو الذي قامت عليه شهرة الرجل ، كما حمل صوته النضالي الثوري عن الجزائر المجاهدة، و أعيد طبعه عدة مرات في داخل الجزائر و خارجها، و أهّله للقب " شاعر الثورة " الذي ذاب فيها هياما و أخلص لها حبا ، كما أخلص لوطنه»[1] و قد قال في كلمات عابرة بعد مقدمة الديوان« إلى كل من أخلص للكلمة الأصلية و تواجد مع نبع مشاعر الجزائري في كلمات شاعر ثورة الجزائر ، أقول المجد أولا، و أخير للجزائر»[2]

فعبر الشاعر في ديوانه عن شاعر التحم بعصره و همومه في زمن بدأت جحافيل الاحتلال الأوربي تلقى الهزائم، فصار هذا القرن كله بالنسبة للشاعر العربي، عملا للثورة و تطلعا للحسن الثوري و المناداة للحرية.

« في اللهب المقدس نحسن بالنبض الثوري و قصف مدافع، و شواظا من نار في كل صوت و زغرودة الاستشهاد و تكبيرة الشهادة و إرادة فولاذية، التي أعلنت طيا لصفحة السياسية وفتحا لصفحة الرصاص»[3]

« و اللهب المقدس هو تذكير بتلك الفترة إذ يحوي أغلب الأناشيد التي هزت الأرواح، إذ ذاك قبل الفاتح نوفمبر 1954، و يسجل أيضا الفترة الأخيرة من الكفاح المسلح، فهو كتاب تاريخ أيضا »[4]

و من خلال تصفحنا للديوان تظهر لنا بادية للعيان تأثير الجملة القرآنية في كل قصيدة من قصائده، لعل هذا أمر واضح لشاعر تشبع بالثقافة الإسلامية من نعومة أظافره.

في ديوانه "اللهب المقدس" توضيح جلي لموقف الشاعر البطولي الذي أشاعه بدعوى استلهام الواقع الثوري ، و هذا الواقع تؤكده قصائده ، التي كتبها في سجنه: الذبيح الصاعد، زنزانة العذاب، و قال الله، تعطلت لغة الكلام... حروفها حمراء، إقرأ كتابك و من الأناشيد التي نظمها في السجن أيضا : فاشهدوا... عشت يا علم نشيد بربروس، نشيد بنت الجزائر،النشيد الرسمي لاتحاد الطلاب الجزائريين،النشيد الرسمي للإتحاد العام للشغالين الجزائريين.

فمضمون هذه القصائد لا يرينا نفسا شاعرية مقهورة فهو يرفض أن توهن عزائمه، و أن تلفته عن هدفه و هو النضال من أجل الاستقلال .

فالشاعر يعبر عن عزيمته، و حنينه في السجن الذي تعرض فيه لألوان العذاب و يوضح بشكل كلي موقف الشاعر البطولي.

كما سعى مفدي إلى إقناع الشعب بضرورة الثورة و النضال من أجل تحقيق الاستقلال ويجمع هذا الديوان شعره الثوري من سنة 1953 حتى سنة 1961، و "اللهب المقدس" واقع ثورة و تاريخ حرب و عصارة قلب، شاعر عاش أحداث بلاده في السجون و المعتقلات، و شهد رؤوس الفدائيين تحصد بالمقصلة الاستعمارية و في ساحة سجن بربروس الرهيب.

و في الأخير نقول أن " اللهب المقدس" هو ديوان الثورة الجزائرية، بواقعها الصريح وبطولاتها الأسطورية، و أحداثها الصارخة و هو بمثابة شاشة تلفيزيون تبرز إرادة شعب استجاب له القدر.

---

[1] عمر بن قينة، في الآداب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجزائر، (د ط) 1995، ص 72.

[2] نقلا عن: عمر بن قتيبة، ص 71.

[3] المرجع نفسه ، ص 73.

[4] محمد عيسى موسى، من كلمات مفدي زكرياء في ذاكرة الصحافة الوطنية، مؤسسة مفدي وزارة المجاهدين، الجزائر(دط) 2003، ص 113.

و الشاعر في الديوان لم يعنى بالفن و الصناعة عنايته بالتعبئة الثورية، و تصوير وجه الجزائر الحقيقي، فكان شعره إلهام و عفوية.

قصته مع السجن:

« دخل مفدي زكريا السجن ست مرات بتهمة المساس بأمن الدولة ، كان ذلك لأول مرة عام 1937 ، حيث ألقي القبض عليه و هو يلقي محاضرة بالبليدة عنوانها" الوطنية و الدين" يدعو فيها إلى الجهاد في سبيل الوطن و الدين.

فوض البطل مفدي زكريا في سجن الحراش مع جمع من المجاهدين إلا أنه لم يكف عن الجهاد فكان يصدر مع أخوانه من داخل السجن جريدة بعنوان" البرلمان الجزائري" و كانت تصل إلى القراء بشتى الطرق و الوسائل، فتنشر فيهم الهمة و حب الوطن و الدين و صار وجود مفدي زكاريا داخل السجن أكثر خطورة على الاستعمار من وجوده حرا ، فكان يرسل أناشيده من السجن ليعتني بها الشعب»[1] و أشهرها نشيد "اعصفي يا رياح" و فيه يقول :

« اعصفـــــي يا رياح و اقصفي يا رعــود
و اثخنـــي يا جراح أحدقي يا قيـــــــــــود
نحـــــــــــن قوم أباة ليس فينا جـــــــــبان»[2]

« دامت رحلته الأخيرة في السجون في وقت الثورة ثلاث سنوات حيث أودع سجن بربروس عام 1956، ثم البرواقية ثم الحراش، و قد شاهد بأم عينه إعدام الشهيد أحمد زهانو الملقب بزبانة، و كيف أن هذا البطل تقدم إلى المقصلة بشجاعة متحديا الجبروت الاستعماري ، و نظم مفدي زكريا في الشهيد أحمد زبانة قصيدة من ثمانية و ستون بيت بعنوان "الذبيح الصاعد".

و تعرض مفدي زكريا في السجن إلى أشد أنواع العذاب في التعذيب بالتسليط المستمر للأضواء الكاشفة على عينيه، مما جعله يشكو من ألام حادة دائمة في عينيه ، و صداع ملازم له، و انهيار في الأعصاب طول حياته، فخشي الاستعمار أن يموت الشيخ المجاهد مفدي زكريا في السجن تحت التعذيب مما يثير فضيحة عالمية، فاضطر إلى إطلاق سراحه بعد ما تأكد من أنه لا يستطيع فعل شيء ضده لأنه موهن الجسد و العقل»[3]

و قد عرفت حياة مفدي زكريا في آخرها نوعا من الإبعاد عن الوطن و مات غريبا ولكنه رغم ذلك عاد من جديد ليرتبط اسمه بالجزائر ليقدم لها أروع ما يقدمه الابن البار ، فهل يعلم الناس أن الشعراء و الأدباء رموز الأمة الخالدة و أنه ينبغي معاملتهم دائما في كل الأحوال من منطلق أنهم أسماء خالدة و أن التاريخ يربط حياتهم بتاريخ شعوبهم.

و في الأخير نخلص إلى عدة تساؤلات: كيف لم توقف الاعتقالات و السجون نشاط هذا الشاعر؟ بل كيف زادت في تقوية روح الرفض و التحدي عنده فأصبحت ظلمات الزنزانات تلهمه قصائد توقها معاناة المعذبين و تباركها الأرواح التي تزهقها المقصلات ، و الأجساد التي يخترقها الرصاص؟

سيميائية العنوان(العنونة):

من يتصفح ديوان اللهب المقدس يستدعي انتباهه منذ الوهلة الأولى العنوان، إنه عنوان معبر، فيقد ما فيه من ثورية و اندفاع يعبر عن الأتفه و العزة و الشموخ و هذا ما يجسده لفظة اللهب ، بقدر ما فيه من الشفافية و الصوفية و الصفاء و الطهر و السمو: إن ثورة الجزائر لهب مشتعل و رصاص و منطلق ، و أهات و زفرات، و تنكيل و تعذيب، و سجون معتقلات وضحايا و معطوبين ، إنه اللهب بالمقابل إنه المقدس ثورة من اجل السلم و الأمان و العدالة والتنمية و الحفاظ على الهوية ، فالثورة سياج ضروري يصون الوديعة هي الجزائر.

كما أن مفدي زكريا كان ناجحا في انتقاء عناوينه ابتداء من عنوانه "اللهب المقدس" إلى غيره من العناوين المبثوثة في دواوينه.

---

[1] رابح لونيسي ، مفدي زكريا شاعر الثورة، دار المعرفة (د ت) (د ط)، ص 10.
[2] مفدي زكريا، اللهب المقدس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (د ط) 1983م، ص 84.
[3] رابح لونيسي، مفدي زكريا شاعر الثورة ، درا المعرفة (دت)، (دط)، ص17.

و اللهب المقدس جملة اسمية، من أسم وصفة، فاللهب مبتدأ، و صفه بأنه مقدس ، ويجوز أن يكون اللهب خبرا لمبتدأ محذوف و في كلتا الحالتين فالجملة الاسمية تفيد البات كما هو معلوم إنه ثبات الثورة ، ثبات المبدأ ثبات الجهاد، ثبات التاريخ

وإذا اطلعنا على لسان العرب للإبن منظور وجدنا أن دلالة اللهب يقصد بها :«اللّهب واللّهيب واللّهاب واللّهبان:اشتعال النار إذا خلص الدخان.

و قيل: لهيب النّار حرّها ، و قد ألهبها فالتهبت، و لهبها فتلهبت أوقدها، قال تسمع منها.

و اللّهب: لهب النار، و هو لسانها، و ألهبت النّار و تلهبت أي اتقدت اللّهبان شدة الحر في الرمضاء ونحوها.و لهبان: شديد الحر : قال و اللّهبة:إشراق اللون من الجسد.

و ألهب البرق إلهابا، و إلهابه ، و تداركه، حتى لا يكون بين البرقتين فرجة و اللّهاب و اللّهبان و اللهبة، بالتسكين،: العطش .

و التهب عليه: غضب و تحرق»[1]

و قد اقترنت لفظة اللهب بلفظة المقدس و له دلالة كبيرة إذ يقصد بالمقدس في لسان العرب

« و المقدس: الحبر و حكى ابن الأعرابي، " لا قدّسه الله أي لا بارك عليه قال: و المقدّس المبارك، و الأرض المقدّسة: المطهّرة "

و قال الغراء: الأرض المقدسة المطهرة، و هي دمشق و فلسطين و بعض الأردن و يقال: أرض مقدّسة أي مباركة »[2]

فاللّهب عند مفدي زكريا له دور إيجابي إذ يقصد به هيجان و انفعال الشعب و هذا واضح عندما صاحب لفظة اللهب بالمقدس فهذا يدل على أن الثورة الجزائرية ثورة مقدسة مباركة وفي أرض مباركة و هذا من سماته الشعرية فهو غالب ما يستعمل في شعره الألفاظ الإلهية المقدسة.

[1] ابن منظور، لسان العرب ، ص 240، 241

سنحاول في هذا الفصل أن ندرس مفدي زكريا[129] و هو من وراء القضبان من جانبين جانبه النظالي و جانبه الأدبي وهما الجانبان اللذان تميز بهما طوال حياته فهو أديب سخر قلمه لقضايا النظال و الثورة و مناضل ثائر يعبر عن ذلك بسلوكه و أدبه.

و من ثمة فإن السجن بالنسبة لمفدي إطار هام تمت فيه هذه التجربة و ترعرعت و اكتسبت ألوانها التي ميزت أدبه بالبساطة و القوة .

كما اعتبر مفدي زكريا السجن نعمة لا نقمة و كأن الموجود داخل السجن أهنئ من الموجود خارجه كما نلاحظ ترديده لكلمة السجن أكثر من مرة هو تعبير لا إرادي عن الاعتزاز و الافتخار بهذه التجربة، فكان السجن بمثابة المدرسة التي سيطبق فيها ما حفظه من نظريات سياسية، و ما نادى به من شعارات وطنية، واقعا مريرا يختبر فيه صلاحية نفسه، و قدراتها على الصبر و الاحتمال و ما جاء في رسائله التي كان يبعثها من السجن تدل على أنه عانى معاناة قاسية في بربروس حيث أصيب بمرض ألزمه دخول المشفى ففي السجن يصطدم الإنسان بأعسر امتحان يسلب من أعز ما يملك و هي الحرية، فقد يصبر المرء لتعذيب و هو فضيع و قد يتحمل الإهانة و هي مؤذية و لكنه لا يستطيع صبرا عن مناجاة الحرية و التطلع إلى محياها مسترخصا في سبيلها كل غال.

قراءة في المضامين الفكرية لمفدي زكريا:

يعتبر مفدي زكريا من المراجع الأساسية في الذاكرة الشعرية للأمة الجزائرية، فهو رجل مثقف، واع صاحب فكر ثوري، و أفق واسع، و تجربة شعرية رائدة و متميزة، و ذلك بحكم تنشئته الدينية المحافظة، و حفظه لكتاب القرآن في سن مبكرة ، و تمرسه بأساليب البيان العربي، و إطلاعه الكبير على عيون الشعر العربي.

لهذه الأسباب و لغيرها من احتكاكه بالتيارات الفكرية و السياسية الحديثة و نظاله الثوري المبكر، كل هذا ساهم في بلورة شخصية الشاعر و جعل منه شخصية جديرة الدرس و التمحيص.

و بتحليلنا و تشريحنا لديوانه "اللهب المقدس" تستوقفنا محطة هامة ألا وهي المضامين الفكرية التي تبلورت و بشكل واضح في ثنايا قصائده.

و كلمحة عجلى على ديوانه يتضح بجلاء أن مضامينه الفكرية كانت الآتي:

1- المضمون الإنساني
2- المضمون القومي (العربي الإسلامي)
3- المضمون الوطني
4- المضمون الثوري
5- المضمون الإيديولوجي

و لنبدأ الآن تحليل مضامين الشاعر من خلال ديوانه"اللهب المقدس"

1-المضمون الإنساني:

هي تلك الأحاسيس و العواطف و الآمال الإنسانية التي أثارها الشعراء المصريون و بعبارة أخرى نعني بها الوقوف على المشاعر الإنسانية التي عانقت الشعر المتصل بالثورة[130]

فمفدي زكريا لا يعتبر الثورة الجزائرية ملكا للجزائر فحسب ، و لا للعرب، بل هي ملك للأنسانية جمعاء إنها ثورة إنسانية.

---

[129] شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا من مواليد بني يزقن في جنوب الجزائر في أبريل من سنة 1908، تعلم بمسقط رأسه، ثم بمدارس تونس و تخرج في جامع الزيتونة ساهم مساهمة فعالة في النشاط الأدبي و السياسي في كامل المغرب العربي دخل السجن خمس مرات من سنة 1937 إلى 1959، و كان أمينا عاما لحزب الشعب و رئيس التحرير صحيفة الشعب وافته المنية عام 1977م

[130] أحسن مزدور،الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر،مكتبه الآداب،مصر،ط1426،1 هـ،2005م ، ص52.

و تتجلى النزعة الإنسانية في قصيدة "الذبيح الصاعد" حينما شبه الشاعر"أحمد زبان " و هو شهيد جزائر بالنّبي، و المتصفح بتمعن للديوان يدرك الأبعاد الإنسانية السامية التي كان يرمي إليها الشاعر، و لهذا اختار عنوانا لقصيدته في "أهدافنا في العالمين صريحة"

« أهدافنا في العالمين صريحة الشعب أعلنها و فسرها الدم »[131]

و الملفت للإنتباه في هذا الشأن غزارة المعجم الغوي ذي الطابع الشمولي الإنساني إذ تكثر في قصائد الشاعر كلمات مثل" العواليم، العالم، الوجود، الزمان، الدنيا، الأرض ...إلخ) و هي دلالات واضحة على النزعة الإنسانية.

إن مفدي زكريا رجل إنساني في نزعته و شهيده أحمد زبان إنساني في استشهاده و ثورة الجزائر إنسانية في مبادئها و أهدافها.

لهذا كانت ظاهرة التمرد في شعره سمة غالبة إن لم تكن السمة الأولى في شعره. و قصيدته"زنزانة العذاب رقم 73" نجد الشاعر يجسد نزعة التمرد في أقصى صورها.

2-المضمون القومي:

«هو الانعكاس الحي للرؤى التي تسبح في وجدان مجتمع ما في لحظات سيكولوجية معينة»[132]

فمفدي زكريا شاعر معتز بقوميته إلى حد النخاع، بل و متعصب لها و مقدس و ممجد لتاريخها، أليست العروبة و الإسلام مصدر فخر و اعتزاز لكل أحرار الدنيا؟ كما أن المتصفح لديوان اللهب المقدس يلمس بوضوح اهتمام الشاعر بقضايا العرب القومية و على رأسها قضية فلسطين، و كثيرا ما ردد الشاعر في أبياته ضرورة أن يقتدي الفلسطينيون بثورة الجزائر ينالوا استقلالهم، ألم يقل مفدي في يوم ما: "فليت فلسطين تخطو خطانا..."

كما أن الشاعر كان لا يفوت المناسبات القومية فهو يبعث برسائله و قصائده إلى تونس و المغرب و ليبيا و مصر داعما جهودهم ثابتا على مبدئهم فهو في وقت الفرج يهنئ و يبشر، و في وقت الحزن يواسي و ينذر .

كما أن أمة العرب لها مع الجزائر عهود و مواثيق، لا تفك حبالها، إنها علاقة دموية أخوية متماسكة، بل هي رحم متشابكة تعرض التزامات و واجبات أولها نصرة المظلوم، أما المغرب العربي فهو عرق نابض بالحياة أشعلت حيوية و إتقان حرب الخلاص من أعز العروبة أعز الجزائر.

كما أن جرح الجزائر يمتد في شريان الأمة العربية و الإسلامية من مشرقها إلى مغربها أن أنينها و جراحها يسمعه أهل مصر و الشام و العراق و هم قلب الأمة و نبضها الخافق ،و قد نتساءل لماذا هذا الحرص من الشاعر على القومية العربية و الإسلامية؟ و ما السبب في هذه الوحدة النموذجية؟ و هنا يجيب الشاعر قوله:

« الضاد في الأجيال خلد مجدها و الجرح واحد في هواها المنزع
فما سكت بالشرق جمهوريـــــــــة عربية وجدت بمصر المرتـــــــــع »[133]

الشاعر في هذين البيتين يعتبر الوحدة ممكنة شريطة أن يتماسك الجميع و يتخذوا في وجه الظلم و الجبروت.

3-المضمون الوطني:

مفدي زكريا إنسان وطني إلى حد النخاع و لا يشك في هذا أحد، فالرجل زجّ به في السجن، بل و حكم عليه بالإعدام، و لاقي صنوف التعذيب ما يشيب الرأس لقد قابل كل ذلك

---

[131] مفدي زكريا ، اللهب المقدس، ص 145.

[132] أحسن مزدور ، الثورة الجزائرية في الشعر المصري، ص 40.

[133] مفدي زكريا، اللهب المقدس ، ص 60- 61.

بصبر جميل و عزيمة لا تقهر و إرادة من فولاذ و إيمان لا يتزعزع فكانت الجزائر في مخيلته هي نبضة من نبضات قلبه المجروح.

فمفدي سخّر قلمه و لسانه للدفاع عن الجزائر، أمة ووطنا و شعابا و تاريخا و ثورة و أصالة و لو لم يكن له من الشعر إلا النشيد الوطني " قسما" لكان ذلك كافيا للتدليل على صدق وطنيته وعمق ارتباطه بأرضه، فماذا عسانا أن نقول و الشاعر صخر جل شعره للدفاع عن حمى الوطن ضد كل غاضب مستبد.

ففي قصيدته "الذبيح الصاعد" يظهر بيت كأنه جوهرة ثمينة وسط خيط من اللآلي الجميلة يقول:

« أنا إن مت فالجزائر تحيا حرة مستقلة لن تبيـــــــــــــــــد»[134]

إن عشق الجزائر في فلسفة الشاعر عشقا لا مثيل له، فهي خمرته التي يسكر بها إن شعره في الجزائر تلاحظ فيه عنوان الشباب و قوة الضمير و جيشان العاطفة، و عمق الطرح و ثبات المبدأ و أصالة المبدع و شاعرية الفنان و يتضح حب مفدي زكريا للجزائر في قوله:

« أحبها مثل حب الله أعبدهـــــــــا أمنـــــــت بالله و لا نـــــــــــــــــــــزف

أرض الجـزائر في إفريقيا قدس رحابها من رحاب الخلد إن صدقوا »[135]

إن الجزائر شيء مقدس وثمين، شيء له حلاوة العبادة ولذة الإيمان، فعاش الشاعر للوطن قلبا وفكرا وروحا وشعرا ونضالا، وتعتبر إلياذة الجزائر دليل ناطق وبرهان صادق على وطنية الرجل، فقد سجل فيها تاريخ الجزائر كله من عهود قبل التاريخ إلى ما بعد الاستقلال.

4- المضمون الثوري:

مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية، لم يخطئ من وصفه اللقب، إذ صخّر شعره للثورة المضفرة تأصيلا وعاطفة ومبدأ ودعوة

لقد إمتزج الشاعر بالثورة امتزاجا كليا، فسارت نيرانها إلى أحشائه قبل أن تسيل من قلمه، ومن يتصفح إنتاجه الأدبي والشعري يدرك أنّ الرّجل كان ثوريا بأحق معنى الكلمة ولعل هذا مرده إلى بشاعة الاستعمار وهمجيته وتنكيله الفظيع بالجزائريين.

وإذا نظرنا إلى بعض قصائده نفهم أنّها ذات ملمح فوري مثل "الذبيح الصاعد"،" حروفها حمراء"، " أنا ثائر"، "المارد الأسمر"....إنها عناوين مثيرة ثائرة، هائجة مندفعة ذات شرر متطاير، وأشلاء مبعثرة في الجو.

إن الثورة في شعر مفدي عنوان الحياة، وترجمان شعب ووسام شرف حيث يقول:

« وقال الله كن يا شعب حـــربا على من ظل لا يراعي جنابا

وقال الشعب كن يارب عونا على من بات لا يخشى عقابا

فكان وكان من شعـب ورب قرار أحدث العجب العجاب »[2]

إن الثورة في شعر مفدي ثورة مقدسة ذات مبادئ سامية مستمدة من العقيد و الإيمان فلا تصح عبادة أو طاعة دون جهاد، كما أن لغة الرصاص والسلاح هي اللغة الوحيدة التي تقنع المستعمر و ترغمه وتجعله يعترف بالحق المشروع للشعوب المستضعفة.

من مميزات الثورة في شعر مفدي زكريا سموها الإنساني، فالشاعر لا يتحدث عن ثورة تحرير الإنسان الجزائري فقط، و إنما يود تحرير الإنسان كإنسان بغض النظر عن جنسه أو لونه أو ديانته.

---

[134] المصدر نفسه ، ص 10.

[135] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 26.

[2] المصدر نفسه، ص 28.

و من خصائص الثورة كذلك، الالتفاف الشعبي الكبير حولها ، فهي ليست ثورة طبقة أو شريحة أو نظام أو عصابة، إنما هي ثورة عامة شاملة ، ثورة في الشمال و الجنوب ، في الريف و المدينة و القرية، ثورة الرجال و النساء و الشيوخ و الأطفال، ثورة الوطن قال مفدي:

« هزّت ثورة التحرير شعبا فهب الشعب ينصب انصبابا »[136]

في هذا البيت تتجلى الحقيقة ناصعة: تمرد شعب و ثورة أمة.

05-المضمون الإيديولجي:

هي كلمة يونانية تعني العلم الذي يدرس الجانب السياسي الإيديولوجيا مصطلح جديد، يعني باختصار العقيدة السياسية و المذهب الحزبي الذي ينتمي إليه شخص ما و قد يكون هذا المصطلح غريبا عن عالم الشعراء و الأدباء لأنهم أناس متمردون بطبعهم، عاشقون للحرية، تواقون للانطلاق، ماقتون للقيود و الأغلال، إلا أن استقراء التاريخ يثبت عكس ذلك، فكم من شعراء كبار و كتاب أفذاذ كانت لهم أفكار إيديولوجية، و منهم من مات في سببها.

و مفدي زكريا واحد من أصحاب الإيديولوجيات الثابتة و إيديولوجيته نابعة من إيمانه بضرورة التغيير، تغيير الوضع، و هذا ما دفعه للانضمام للعمل السياسي و الوطني منذ أوائل الثلاثينيات، فقد كان مناضلا نشيطا في حزب شمال إفريقيا و حزب الشعب و حركة الانتصار للحريات الديمقراطية و أخيرا في حزب جبهة التحرير الوطني، و الحقيقة أن الظروف السياسية للجزائرهي التي حتمّت عليه هذه الإيديولوجية و يقول مفدي زكريا مفتخرا بإيديولوجيته:

« و نلهم ثورتنا مبتغانا فتلهم ثورتنا العالمينا »[137]

من خلال مفدي زكريا نفهم أن الشعر و الأدب لا يسير بمعزل عن السياسة و الإيديولوجيا، فالتمرد الإيديولوجي شيء اضطراري فرضه الواقع السياسي و ظروف البلد ، و هذا لا ينقص من شاعرية مفدي أو صدق إحساسه و ثبات مبدئه.

و نلتقي في هذا الفصل بشاعر الثورة مفدي زكريا في ديوانه "اللهب المقدس" حيث يعرض لبعض من غربته و حنينه في سجنه الذي تعرض فيه لألوان من العذاب (الكهرباء، ثلج ، الجلد، و الغطس في الماء البارد، و الحبس في الغرف الانفرادية و الصلب على الأشجار في العراء و التعريض لنهش الكلاب و تسليط الأضواء الكاشفة على العينين لمدة طويلة).

فعبر عن هذه الآلام و المعاناة في شعره، فكان ديوانه مسرحا لهذه الأخيرة و للثورة الجزائر عامة.

« كان مضمون هذه القصائد لا يرينا نفسا شاعرية مقهورة إذ تصاعد مفدي بنفسية و الأزمة و تعصره، ووقف للسجّان في إباء معجب، و هو لا يجحد العذاب و الوهن الذي يملكه في سجنه والذي يبدوا في أبيات متفرقة من قصائده و لكنه يجحد أن توهن عزيمته و أن تلتفه عن هدفه و هو النظال من أجل الاستقلال، هذا النظال الذي يجعلنا نقول عن مفدي : إنه ثائر شاعر قبل أن يكون شاعرا ثائرا ، و قد أبعدته هذه الثورية على أن ينجز صورا خاصة بغريزته و وحشيته داخل السجن تضاهي تلك الصور التي أبدعها الأوائل»[138]

و أول قصيدة في ديوانه "اللهب المقدس" هي "الذبيح الصاعد" و قد قالها الشاعر بمناسبة تنفيذ حكم الإعدام في أول شهيد دشن المقصلة بساحة سجن بربروس" أحمد زبانة" في القاعة التاسعة في الهزيج الثاني من الليل يقول:

« قـــــــام يختال كالمسيح وئيـــــــــدا يتهادى نشوان يتلو النشـــــــــــــيدا

باسم الثغر، كالملائك، أو كالط فـــل يستقبل الصّباح الجديـــــــــــدا

---

[136] مفدي زكريا ، اللهب المقدس، ص 31

[137] مفدي زكريا ، إليادة الجزائر، الجزائر، وزارة التربية الوطنية، دت، 1986،ص 65.

[138] عمر بوقرورة، الغربة و الحنين في الشعر العربي الحديث ص 27، 88

شامخا أنفه جلال وتيـــــــــــــــــها رافعا رأســـــــــــه
يناجي الخلـــــــــــــودا
رافلا في خلاخل زغردت تـــــمـــــ لأ من لحنها الفضـــاء
البعـــــــــــيدا
حالما كالكيلم كلمه المـــــــــــــــجد فشـــــد الجبال يبغي
الصعـــــــــــودا
و تسامى كالروح في ليلة القـــــد ر سلام يشع في الكــون عيـــــــــدا
وامتطى مذبح البطولة مـــــــــــعرا جا و وافى السماء يرجو
المزيـــــــدا »[139]

من حيث الوظيفة الدلالية للصورة نجدها تحققت بشكل جيد، فقد رسمت الصورة منظرا للمحكوم عليه، و تابعته في سيره حتى بلغ المقصلة، و شبهه في سيرة كأنه المسيح في طريقه إلى الصليب، لأنه مثل المسيح يعرف جيدا نهاية رحلة حياته مطمئن إلى مصيره، و ما يلقى في سبيله من العنف والعذاب، و هو مستهين بكل ذلك في سبيل رسالته، و إن كان من حوله من حاول صلبه و قتله،و هذا ما يتضح في البيت الأول من القصيدة.

« إنه يتهادى في مشيته و النشوة تظلمه، و على شفتيه تمتمة النشيد، و هو يبتسم كالملاك و الطفل، إنه شامخا انفه جلال، لأنه يدرك جيدا قيمة موته و حقارة جلاديه، كما أن الأغلال التي في رجليه ليست حديدا تنفر منه الآذان لصوته المزعج بل هي خلاخل أطلقت زغاريد ملأت ألحانها الأفراح»[140]

و لقد استعمل مفدي زكريا التشبيه بكثرة في هذه القصيدة، حيث افتتحها بتشبيه "أحمد زبانا" و هو متوجه نحو المقصلة بالمسيح عيسى عليه السلام و ذلك في البيت الأول و في هذا التشبيه رفعة لمكان "أحمد زبانا" و منزلته ، حيث شبهه بنبي الله عيسى« فالتشبيه بالمسيح يرمز من الجانب الخارجي إلى عملية الاضطهاد و محاولة لصلب بكل ما فيها من وحشية و قسوة و من الجانب الداخلي يرمز إلى اللامبالاة ، بل و السعادة التي تغمر قلب الشهيد»[141]

و هكذا كان "أحمد زبانا" لا يرعبه الموت الذي يراه منتصبا أمامه على بعد خطوات منه، بل هو فخور بتلك الموتة، سعيد بها، لأنه يعرف قداسة مبدئه الذي يموت في سبيله.

كما أن لفظة " قام" بمعنى المبادرة للموت، فالمحكوم لم يؤخذ للموت أو للمقصلة أخذا أو بالغضب، بل قام إليها من تلقاء نفسه فحملته إليها قدماه و هذا إن دل على شيء إنما يدل عن ثبات الرأي و عدم الخوف من الموت.

و من التشبيهات الواردة في هذه القصيدة أيضا: شبه الشاعر أحمد زيانا بالطفل الصغير الذي يبتسم ابتسامة بريئة أو بالملائكة و ذلك في البيت الثاني من القصيدة.

أما في البيت الخامس فيعود ليشبهه بنبي الله موسى عليه السلام، فموسى كلمه الله عزو جل ، و "أحمد زبانا" كلمه المجد.

و في البيت السابع يشبه مفدي زكريا المقصلة بالخيل حذف المشبه ، و ترك شيئا يدل عليه (امتطاء) و هي استعارة مكنية، و هذه الاستعارة لها بلاغة من حيث الابتكار و روعة الخيال، و ما يتركه من أثر في نفس السامعين.

ونجد الاستعارة أيضا في قوله:

« سكت الناطقون و أنطلق الرش اش، يلقي إليك قولا مفيدا»[142]

شبه الرشاش و هو يطلق النار بالإنسان و هو يتحدث، فقد شخص شيئا غير معنوي، بشي معنوي، و هو الإنسان و ذلك من باب الاستعارة المكنية.

---

[139] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 9، 10
[140] يحي الشيخ صالح ، شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص 321
[141] يحى الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص 321.
[142] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 17.

من خلال هذه القصيدة نلمس حرص الشاعر على تشخيص الصورة البيانية، و محاولة إظهار الحقيقة للسامعين، و ذلك عن طريق أشكال و ألفاظ مادية ملموسة فهي تجعل الشعر أقرب للفهم، و هي تبعث في القارئ نشوة، و تفجر فيه انفعال.

و في الأخير نخلص أن قصيدة "الذبيح الصاعد" جاءت غنية من حيث الاستعارات حيث وظفها الشاعر بصورة ملفتة للنظر و الإعجاب في نفس الوقت، كما دلت هذه الصورة (الرائعة و الراقية)

على براعة الشاعر و تمكنه من هذا المجال و قد وظف الشاعر هذه الاستعارات بهدف تقوية المعنى و إضافه، و قد اكتسب الألفاظ من خلال هذا اللون من الصور دلالات كثيرة و معاني واسعة كان لها أثر في القصيدة جد إيجابي و في هذا الصدد نجد

-"استقبال الصباح الجديد"، توحي بأبعاد أخرى، فالصباح عادة لا يكون إلا بعد الليل، كما أن عملية الاستقبال تكون لشيء مهم، أو يكون هروبا من شيء يسبق ذلك الشيء المستقبل ، و هو الليل في هذه القصيدة، و الليل بدوره هو رمز لحياة الاضطهاد والتعذيب الذي كان يعيشها المحكوم، و السؤال الذي نطرحه هنا أي صباح ينتظر "أحمد زبانا" و هو ينتظر الموت؟ إنه يستقبل حياة جديدة سيحياها في نفوس رفاقه و ذلك بخلوده في وجدانهم ، و في نعيم الله الذي ينتظره كل شهيد.

- و عبارة " خلاخل زغردت" فهذه العبارة تشع بإيحاء عميق المعنى، فـ"أحمد زبانا" ليس شخصا حكم عليه بالإعدام بل هو عروس تسير في حفل زفافها نحو بيتها الجميل.

- و لفظة "الروح" في هذه القصيدة توحي بسمو رسالة الثورة و قداستها ،و ذلك أن الروح لا ينزل إلى الأرض إلا في مهمة سماوية مقدسة و في نشر الإسلام، و كذلك روح "أحمد زبانا" فوجدت في الحياة من أجل مهمة سماوية و هي الدفاع عن الحرية و تحرير الوطن، مقاومة الظلم و الطغيان ...إلخ و قد سخر حياته لتلك المهمة، و موته ما كان إلا رجوعا إلى السماء بعد انتهاء المهمة.

- لفظة "المسيح" في هذه القصيدة ترمز إلى التضحية و الفداء و الرضى بالموت في سبيل المبدأ، لكنها في الأصل هي رمز ثري يوحي بدلالات كثيرة لكن مفدي زكريا استسقى ما يلائم غرض هذه القصيدة.

- و قوله "و امتطى مذبح البطولة" فلفظة " المذبح" تشير إشارة قاطعة إلى الإعدام لكنه ليس مذبحا عاديا و إنما هو مذبح البطولة، فهو يمتطيه ليعرج به نحو السماء فهو وسيلة لبلوغ السماء لا وسيلة للموت.

كما كان خيال الشاعر واسعا، و اتضح ذلك مع كثرة الاستعارات الواردة في القصيدة كما نجد الكناية بكثرة و من أمثلة ذلك في قوله:

« قام يختال كالمسيح وئيـــــــــــدا يتهادى نشوان يتلوا النشيدا »[143]

و هي كناية عن الشموخ و القوة و الصبر و الثقة بالنصر و نجد كذلك في قوله:

« شاركت في الجهاد أدم و حوا ء و مدت معاصما و زنودا »[144]

في هذا البيت كناية عن مشاركة الرجل و المرأة في الجهاد و الدفاع عن الوطن و قد وظف مفدي زكريا الكناية لما لها من أهمية في تثبيت المعنى و تأكيده و يعتبر مفدي زكريا من الشعراء المتمكنين في استخدام الكناية و التعامل معها، و من خصوصيات اللغة عنده توظيف اللفظة القرآنية ، و لا يتجسد ذلك في قصيدة "الذبيح الصاعد" فقط بل يظهر في كل أعماله، و هذا راجع إلى تأثره بالقرآن الكريم و تكوينه الديني حيث أنه حفظ القرآن الكريم و هو في سن مبكرة.

و يتجلى توظيف اللفظ القرآني في القصيد فيما يلي:

---

[143] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 9

[144] المصدر نفسه، ص 15

« و تسامى كالروح، في ليلة القد ر سلاما يشع في الكون عيدا »[145]

اقتبس الشاعر لفظة "ليلة القدر" من قوله تعالى في سورة القدر:«**إنا أنزلناه في ليلة القدر، و ما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر**» سورة القدر.

و نجد لفظة "مثانى" في قوله:

« أحفظوه زكية، كالمثانى و انقلوها للجيل ، ذكرا مجيدا»[146]

و قد اقتبسها من قوله تعالى:« **و لقد آتيناك سبعا من المثانى و القرآن العظيم**»

كان لتوظيف اللفظة القرآنية أثر كبير في القصيدة، كيف لا و هي لغة القرآن المعجزة التي لا تضاهيها لغة و في قوله:

« صرخة ترجف العوالم منها و نداء مض يهز الوجـــــــــــــــودا
أشنقوني فلست أخشى حبالا و اصلبوني، فلست أخشى حديـدا
و امتثل سافرا محياك جـــلا دي، و لا تلتثم، فلست حقـــــــــودا»[147]

جاءت الألفاظ في هذا المقطع قوية موحية مثل: "صرخة، ترجف، نداء، يهز، اشنقوني ، حبالا، حديد..." فهي ألفاظ تناسب الحدث الذي يتحدث عنه الشاعر ، إذ نجدها توحي بقوة أحمد زبانا و شجاعته و صموده ،و عدم خوفه من الموت بل تحديه للمقصلة و المستعمر بكل ثقة و ثبات، و رضي أن يضحي بنفسه مقابل أن يعيش شعبه سعيدا أبيا.

و تتجلى الموسيقى الخارجية و الداخلية لقصيدة"الذبيح الصاعد" من خلال جملة من العناصر: كالقانية و الأوزان و عدد التفعيلات و حرف الروي و التكرار... بحيث تتضافر كل هذه العناصر و أخرى من أجل إعطاء القصيدة نغما موسيقيا منسما يلفت انتباه الملتقي.

وللأوزان دور في إبراز الموسيقى الخارجية لأي قصيدة ،و نجد قصيدة "الذبيح الصاعد" تنتمي إلى عمود الشعر، حيث اعتمد الشاعر على وزن من أوزان الخليل هو بحر الخفيف، و إذا قمنا بعملية إحصائية لتكرار التفعيلات في القصيدة نجد فيها التكرار حوالي (408) مرة، و ما يمكن استخلاصه من خلال دراسة وزن القصيدة أن: الشاعر أفلح في اختيار الوزن بحيث اختار بحر الخفيف الذي يتناسب مع موضوع القصيدة، كما يتناسب مع حالة الشاعر النفسية، و الذي يبدوا أنه في حالة ألم و حزن نتيجة لما يعانيه الشعب الجزائري من حرمان و تعذيب و إذلال، و نجده في الوقت نفسه يعيش حالة غضب و غيض من هذا المستعمر الدخيل الذي هو سبب معاناته هو و شعبه، كما جاءت القافية مناسبة مع بناء القصيدة و مضمونها كان لها اثر موسيقي جميل فأحدث جرسا موسيقيا في أواخر الأبيات، و ما يلاحظ على القافية أنها جاءت في معظمها بعض كلمة، كما أنها تكررت بشكل نلفت للنظر، فنجد مثلا تكرار القافية(ديدا) سبع مرات و القافية (عيدا) تكررت خمس مرات و أدى هذا التكرار إلى إحداث تناعم موسيقي في القصيدة من جهة، و تأكيدا للمعنى من جهة أخرى، هذا ما جعل القصيدة فنية تشد انتباه الملتقي إليها و ذلك من خلال الإيقاع المنتظر في نهاية الأبيات و الذي يظهر و يتجلى في توافق و انسجام أواخرها.

كما اختار الشاعر حرف "الدال" كروي في قصيدته هذه، و هو صوت انفجاري مجهور . وهو حرف صحيح غير معتل، و توظيف حرف "الدال" يتناسب مع موضوع القصيدة و مضمونها ، كما يتناسب مع الحالة النفسية للشاعر إذ نجده في حالة ثأر و انفعال شديدين ، و ذلك لما أصاب صديقه "زبان" من جهة و ما يعيشه الشعب الجزائري من جهة أخرى، فالشاعر باستعماله حرف"الدال" الانفجاري المجهور كأنه يريد أن يفصح و يفجر ما في نفسه من غضب و ألم، و من ثم يفصح عما يعانيه الشعب الجزائري ككل.

---

[145] المصدر السابق،ص 10.
[146] المصدر نفسه، ص 11.
[147] المصدر نفسه ، ص 10.

أما ظاهرة التكرار متجلية في القصيدة بشكل ملفت للانتباه، و وردت بمستويين التكرار على مستوى الحروف، و على مستوى الألفاظ أو الجمل و من أمثلة التكرار في القصيدة

« صرخة، ترجف العوالم منـــــها و نـــــــــــداء مضى يهز الوجـودا
أشنقوني، فلست أخشى حبالا و أصلبوني، فلست أخشى حديدا
و أمتثل سافرا محياك جـــــلا دي، و لا تلتثم فلست حقـــــــــودا»[148]
« و سرى في فم الزمان زبـــــــان مثلا، في فم الزمان شـــــــــــرودا»[149]

نلاحظ في هذه البيات أن الحروف الأكثر تكرارا هي :الدال، السين
و تكرار في البيت الثاني جملة(فلست أخشى) و البيت الأخير جملة(في فم الزمان) و كان لهذا التكرار دور في إثبات المعنى و تأكيده، و كذا منح القصيدة إيقاعا موسيقيا يتناسب مع موضوع القصيدة، إذ نجد التكرار الموظف يقوي من عزيمة الشعب و يشيد بخصال الشهيد و مناقبه، و يحث الشعب على الصمود و مواصلة التضحية و الكفاح و عموما فقد كان للتكرار دور مهم في تأكيد المعنى من جهة، و منح القصيدة موسيقى تنسجم مع انفعالات الشاعر من جهة أخرى، كما جعل الملتقي يتفاعل مع القصيدة من البداية إلى النهاية.

و نلاحظ من خلال القصيدة طغيان الأصوات المجهور ، ثم تليها حروف اللين، أما الأصوات المهموسة، فقد جاءت قليلة جدا.

و لقد ولد التبادل بين أصوات الجهر و اللين انفعالا شديدا لدى الشاعر و الذي يظهر جليا من خلال قراءة القصيدة، كما أن تكرار الأصوات المجهور يوحي بالحركة، و هذا ما يتلاءم مع مقصود الشاعر الذي يقول بحركية الثورة و الشعب و السير و التقدم للأمام لنيل الاستقلال.

« إن السجن ليس إلا الرمز الخالد لطموح الإنسان الجزائري، و حرصه على دخول المجد من بابه الواسع، لا بوصفه فردا يهوى المغامرة و لكنه بوصفه شعبا يبحث عن الخلاص و الانعتاق»[150]

و تتجلى هذه الفكرة أكثر في قول مفدي زكريا في قصيدة "الذبيح الصاعد"

« و أحشري في غياهب السجن شعبا سيم خسفا، فعاد شعبا عنيـــــــدا
و اجعلي بربروس مثوى الضـــــحايا إن بربروس مجدا
تليـــــــــــــدا !!»[151]

فالشاعر هنا عندما يتحدث عن السجن لا يتحدث عنه بوصفه حالة فردية يعاني منها بشخص ما ، بل بوصفه حالة اجتماعية تجسد مأساة جماعية « و أن السجن ليس إلا أحد وسائل الإرهاب التي مارسها المستعمر ضد السكان، و من ثم فإن موقف الشاعر هنا لا يختلف عن موقفه من وسائل الإرهاب الأخرى »[152]

« إذا كان الشعراء العرب كما عرفوا يبكون أو يتباكون لعزيز فقدوه، فإن مفدي لم يعرف البكاء إلى نفسه سبيلا إلا على الجزائر لتي ظلت ردحا من الزمن تتلظى سعير الحرب ،و لذلك كانت الجزائر بالنسبة إليه الأمل و الهدف و الرجاء ومن هنا فإن عناصر المضمون في شعر مفدي زكريا تتميز عن كثير من الشعراء العرب ، الذين عاصروه، إذ تخلوا أشعاره من اليأس و القنوط و الإحباط، وديوان "اللهب المقدس" هو تكريس للمقاومة و تجاوز للصعوبات و تغليب للأمل على مسيرة الكفاح المسلح»[153]

---

[148] مفدي زكريا، اللهب المقدس ، ص 10.
[149] المصدر نفسه ، ص 11.
[150] أحمد حيدوش، الثورة الجزائرية في الأدب العربي، العدد الثالث، أكتوبر 1987، تيزي وزو ص 11.
[151] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 18.
[152] أحمد حيدوش ، الثورة الجزائرية في الأدب العربي ص 11.
[153] حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة و تقويم، ص106.

و إذا حللنا الحالة النفسية للشاعر نجد حالة الرضا و الغبطة بتحقيق مكسب عظيم « فهو شعور من يشم رائحة الانتصار لكن لا يلتمسه، لأن هذا الانتصار لا يكمن في الواقعة المأساوية المعيشية و هي إعدام أحمد زبانا بقدر ما يكمن في النتائج البعيدة لتلك المأساة لأنها نتائج حتمية على أي حال »[154]

و نجد ألفاظ القصيدة جلها باسم مشرق و يتجلى ذلك فيما يلي:" قام، يختال ،يتهادى، نشوان،النشيدا، باسم، الملائك، الطفل، الصباح، جلال، زغردت، تسامى ليلة القدر، يشع، عيدا ...إلخ" و كأنها ليست وليدة السجن.

و الصورة التي قدمها الشاعر لنا في هذه القصيدة و هي سير أحمد زبانا إلى المقصلة توحي بوظيفتين الأولى دلالية و الثانية نفسية.

فهذه الصورة في وظيفتهما الدلالية لا تبعث على الفرح و السرور، بل بالعكس فهي تبعث على التقزز و الحزن.

و من جهة ثانية، ليس على وقع الحادثة على نفس الشاعر ما يبعث على الحزن و الأسى او الثأر على الأقل، بل أنها تشي بالفرح و السعادة(و هو ما نقلته لنا الصورة في جانبها النفسي)

«إن مفدي زكريا كان متأثرا أبلغ الثأر بإعدام زميله و رفيقه في السجن،لكن تأثره كان من نوع خاص لا يرافق دوما قضايا الموت و حوادث الإعدام بل هو شعور يكون فقط، نحو من قضى حياته في سبيل مبدأ مقدس مثل تحرير الوطن» [155]

و نبقى مع هذه القصيدة نفسها لنبحث فيها عن العوامل التي جعلت من إعدام أحمد زبانا حدثا لا يبعث على الحزن و الأسى:

« يـــــــــا فرنسا كفى خداعا فإنّا يا فرنسا لقد مللنا الوعـــــــــــودا
صرخ الشعب منذرا فتصـــــــــــا مت، و أبديت جفوة و صـدودا
سكت الناطقون و انطلق الرشا ش يلقـــــــــــي إليك قولا مفيـــدا
نحن سرنا فلا تحين رجـــــــــوع أو ننال استقلالنا المنشـــــــــودا
»[156]

نفهم من هذه القصيدة أن الثورة المسلحة لم تندلع إلا بعد أن أثبتت الحلول السياسية و الوسائل السلمية إخفاقها .

و ما دامت الوسائل السلمية غير مجدية جدوى(الرشاش الناطق)، و ما دامت الثورة المسلحة لا تتم إلا بضحايا تقدمها قربانا من أجل الاستقلال فهي إذن ثمنا لا بد من دفعه لنيل الحرية المطلوبة.

إذا كانت السجون في نظر الطغاة هي كبح جماح الثوار فإنها في غالب الأحيان تعطي مردودا عكسيا للهدف الذي وصت لأجله فهو سرعان ما تتحول تلك السجون إلى مدارس يتلقى فيها السجين دروس الحياة التطبيقية فهذه المدرسة هي التي تعلمه التجارب و ركوب الأخطار و تحمل الشدائد التي تزيل عنه حجاب الخوف و تعرفه معنى كلمة "الحرية" التي كان يتمتع بها و لا يقدر ثمنها فالسجين وحده لا يستطيع أن يفهم معنى الحرية و لهذا كان للسجين شأن عظيم إذ فيها يختلف الرجال الدين يقلبون صفحات التاريخ»[157]

و من هذا المنطلق، يصبح الاستشهاد في سبيل الثورة شيئا يبهج النفس، و يثلج الصد إذ أن كل ضحية هي خطوة نحو الأمام في تحقيق النصر و يتضح في هذا قوله:

« فمضى الشعب بالجماجم يبني أمّة حـــــــــــرة و عزا وطيدا»[158]

---

[154] يحى الشيخ صالح، شعر الثورة مفدي زكريا، ص 324.
[155] المصدر السابق، ص 325، 326.
[156] مفدي زكريا، اللهب المقدس ، ص 17.
[157] حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة و تقويم ص 103.
[158] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ،ص 15.

و من هذا نرى أنه لا غرابة أن يودع المعدم نفسه بالزغاريد و الهتاف و ألا تذرف عليه الدموع، و هذا الشعور كان مماثلا في نفس المعدم نفسه، فهو يقوم إلى الموت في نشوة و يستقبله بابتسامة و كأني بالمعدم، و هو يسير إلى المقصلة يفكر في أنه خدع الاستعمار لأنه قدم ثمنا بخصا في مقابل شيء أثمن و أعز و هو حياة الوطن و هذا ما جسده مفدي زكريا في قوله:

« و اقض يا موت في ما أنت قاض أنا راض إن عاش شعبي سعـــيدا»[159]

و في قوله:

« أنا إن مت فالجزائر تحيـــــــــــــــا حرة مستقلة لن تبيـــــــــــــــــــــدا »[160]

فالشهيد هنا يحدد بوضوح ثمن موته ألا و هو حياة الجزائر ، و ما دام هذا شعور الشهيد، فليس من قبيل المبالغة ألا يشعر هذا الشهيد بحقد كبير على جلاده، فأحمد زبانا يطلب من جلاده أن يسفر عن وجهه يميط عنه اللثام، فيقول:

« و امتثل سافـــــــــــــرا محياك جـــــلا دي و لا تلثم فلست حقـــــــــــــودا »[161]

و قوله أيضا:

« يا زبانا أبلغ رفاقك عنـــــــــــــــــا في السماوات قد حفظنا العـــهودا

و أرو عن ثورة الجزائـــــــــــــر للأ فلاك و الكائنات ذكرا مجـــــــــيدا »[162]

من البديهي أن نحزن على الميت، لأن حياته قد انتهت، لكن هذا الحزن غير مرغوب فيه في موت الشهيد ، لأنه خالد لم يمت و لا يزال يقوم في السماء بمهام الثورة.

وقوله:

« كل من في البلاد أضحى زبانا و ثمني بأنا يموت شهـــــــــــــــيدا»[163]

في هذا البيت يتمنى الجزائريون المصير نفسه، وهو الموت في سبيل الحرية.

وفيالأخير نخلص أن التصوير في هذه القصيدة " الذبيح الصاعد" متوافر بكثرة لكنه لم يصل حد الافتعال، كما أن حماسة الشاعر كثيرا ما دفعته إلى التقرير ولكن سرعان ما يعود إلى التصوير.

وفي قصيدة " الذبيح الصاعد" لا نعثر على أي صورة ناشزة عن محور الشعور الخاص بموضوع القصيدة، فمحور الشعور في تلك القصيدة هو النظر إلى الاستشهاد على أنه شيء إيجابي للثورة وعامل من عوامل الرضا فلا نجد فيها أي أثر للحزن والأسى أو الندم.

و في قصيدته "زنزانة رقم "73 " التي نظمها في ظلام الزنزانة و حفظها بيتا بيتا لاستحالة كتابتها فيقول في مقدمة القصيدة:

« سيان عندي مفتوح و منـــــــــــغلق يا سجين بابك، أم شدت به الحـــــــق

أم السياط بها الجلاد يلـــــــــــــــهبني أم خازن النار يكويني فأصطـــــــــــفق

والحوض حوض، و إن شتى منابعه ألقى إلى القعر، أم أسقى فانشـــــــرق

---

[159] المصدر نفسه ، ص 10.
[160] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 10.
[161] المصدر نفسه، ص 10.
[162] المصدر نفسه، ص 11.
[163] المصدر نفسه، ص 19.

سرّي عظيم فلا السر يسمح لـــــــــــي نطقا و ربّ ضعاف دون ذا نطـــــــقوا

يا سجين، مأأنت؟لا أخشاك، تعرفني من يحذق البحر،لا يحذق به الغـــرق »[164]

« في هذا المقطع يتخذ مفدي زكريا من السجن شكل خصم يقاومه و يتحداه ،ساخرا من وسائله الإرهابية و أنواع عذابه، فلا فرق بين أبواب السجن مفتوحة و بينها و هي مغلقة، و لا فرق بين السياط التي تنهب جسمه، و الحديد الذي يكوي به يده»[165]

و قد نظم زكريا حوالي ثمانية قصائد في السجن لا نكاد نلمس صورة السجين الفرد فيها و هو يعاني من الأمرين وراء القضبان الحديدية و يشكي ألامه و همومه الفردية، بل أن الهم الجماعي هو الذي يشكل هذه القصائد و يلونها بألوانه الخاصة و من ثم غدا عنده مكانا مألوفا و عاديا كأي مكان أخر يعرفه من قبل و يقول أيضا في نفس القصيدة:

« و ربّ نجوى، كدنيا الحب، دافئـــــــــة قد نام عنها رقيبي، ليس يستـــــــــــرق

عادت بها الروح، من (سلوى) معطرة فالسجن من ذكر (سلوى) كله عبق

سلوى، أناديك سلوى امثلهم خطـــــــــأ لو أنهم أنصفوا، كان اسمك الرمـــق

يا فتنة الروح، هلا تذكرين فتـــــــــــــيً ماضرّه السجن ، إلا أنّه ومـــــــــــق؟»[166]

في هذا المقطع يصور الشاعر نفسه و قد هاجت في صدره ذكريات الأحبة ، و أيام الصفاء، و تخيل روحه طيفا يسري خارج السجن يزور الأحبة و يعود إليهم و ينسى ما حوله من ظلام وعذاب ، و كأنه لا يعاني أي هم سوى فراق محبوبته سلوى و بعد هذه المناجاة يعود الشاعر إلى وعيه فيتحسس ما حوله، و ينتصب أمامه شبح العذاب و الشاعر هنا يرمز للجزائر بسلوى فأحب سلوى لجزائريتها و ليس لذاتها.

كما أن صمت السجن الرهيب، و سكون الليل جعل الشاعر يصغي إلى نجوى حبيبته في هدوء ، و يناجيها هو الأخر بحديث أخر مهموس، لذلك جاءت المقطوعة هادئة الإيقاع توحي بالهمس نتيجة اعتمادها كثيرا على الحروف المهموسة (السين، الشين، الحاء)

و يبلغ الهمس ذروته في قوله:

« وتغرب الشمس تطوي في ملاءتها سرّين أشفق أن يشفيهما الشـــــــــفق»[167]

حيث يتكرر حرف السين مرتين، و الشين أربع مرات في بيت واحد، بل تولت ثلاث كلمات كلها تحوي حرف الشين "أشفق أن يشفيهما الشفق" و في ذلك محاكاة للنجوى الهامسة.

فموسيقى المقطوعة تتصف بهدوء و مرح، و تشم منها رائحة الحزن و الأسى لأن الشاعر في موقف استرجاع ذكريات حلوة محببة إلى نفسه.

كما استعمل مفدي زكريا في قصيدته:" ألفاظ، السجن،الجلاد، اللهب، النهار، التعذيب، السياط...إلخ" و لعلها أكثر أدوات التعذيب التي نالها في سجنه فلم يتردد في إيصال معاناته خارج قضبان السجن، و إذا كان التعذيب أقرب طريقة للاستنطاق مفدي زكريا، فهو من جهة أخرى أقرب طريقة لشحذ همم الشاعر، و بث فيه روح الكفاح و الصمود أمام همجية المعتدي و يستمر الشاعر وصفه لأيام الأنس و السمر في قوله:

« هل تذكرين إذا ما الحظ حالفنا إليك أهتف يا سلوى فنتفـــــــــــــــــق

أم تذكرين و لحن الموج يطربنا إذ نفرش الرمـــــل في الشاطئ و نعتنق

---

[164] مفدي زكريا ، اللهب المقدس، ص 21، 22.

[165] يحى الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص 109.

[166] مفدي زكريا، اللهب المقدس ص 22.

[167] المصدر السابق ، ص 22.

الموج ينقل في أصدائه قبـــــــلا يندى لها الصـــــــــــخر حتى كاد ينغلق

نسابق الشمس، نغزوها بزورقنا فيسخر الموج من كيف نلتـــــــــــــــحق"[168]

كما يتضح في هذه المقطوعة أن الشاعر خيم عليه جو من الغزل و المرح، حتى يخيل للقارئ، أن تلك الأبيات لم تولد من بين قضبان السجن، و إنما ولدت من شاطئ جميل يمرح فيه عاشقان طليقان.

« يالائمي في هواها إنها قبـــــــــــس من الجزائر و الأمثال تنطلـــــــــــق

بنت الجزائر...أهوى فيك طلعتها فكل ما فيك من أوصافها خـــــــــلق

أحبها مثل حب الله أعبدهـــــــــــــا أمنت بالله لا كفر، و لا نـــــــــــزق

أرض الجزائر في إفريقيا قـــــــدس رحابها من رحاب الخلد أن صدقوا

قلب العروبة لم يعصف بنخوتــها عسف و لا نال من إيمانها رهـــــق »[169]

كأن الشاعر في هذه المقطوعة يريد أن يقول: أن محبوبته لم تكن إلا مرآة عاكسة لوجه الجزائر فلذلك أحبها و هام بها، فكانت الجزائر هي الهدف و الأساس و ليس حب الأنثى.

كما مازج الشاعر بين ذاته و موضوعه، فذابت إحداها في الأخر، فلا السجن ولا ألامه أنسياه محبوبته، ولاالهيام عن المحبوبة شغله عن الجزائر و ثورته، بل إنها شيء واحد في النهاية عند الشاعر، فالمحبوبة هي الجزائر، بنت الجزائر و تحمل طلعتها، و الجزائر هي الثورة لأنها سبيلها إلى الحياة.

للنشيد عند مفدي زكريا قيمة خاصة، و لمفدي في مجال النشيد قيمة خاصة و دور بارز متفرد، و في نظري يستحق أن يلقب بشاعر الأناشيد أيضا.

و نظرة تحليلية إحصائية بسيطة تدعم هذا الرأي، فهو صاحب النشيد الرسمي للثورة الجزائرية "فاشهدوا" أو " قسما" و صاحب نشيد "عشت يا علم" و هو التحية الرسمية للعلم الجزائري، و صاحب نشيد "جيش التحرير الجزائري " الذي جاء بلغة شعبية، و صاحب نشيد "الشهداء" الذي صدر الأمر من جبهة التحرير سنة 1950 إلى المحكوم عليهم بالإعدام أن يرددوه قبل الصعود إلى المقصلة،و هو صاحب نشيد "بربروس"، و نشيد "بنت الجزائر، و صاحب النشيد الرسمي للطلاب الجزائريين و النشيد الرسمي للإتحاد العام للشغالين الجزائريين... و جل هذه الأناشيد كتبها و هو في قضبان السجون.

« ففي سنة 1937 ،ألقي القبض على مفدي زكريا بتهمة التشويش ضد أمن الدولة، و زج به في سجن"بربوس» [170] من هذا المنظور نفهم أن السجن كان تأديبا له على التشويش، كما أنه إرغام على الرضوخ و الإشكالية لكن الأصح أن السجن كان نعمة على مفدي حيث ألهم الشاعر نشيد "الشهداء" الذي جاء تعميقا للثورة و ساعد على تحريك الهمم و بث روح الرفض في النفوس .

« أعصفي يا ريـــــــــــــاح واقصفي يا رعـــــــــــــود

و اتخني يا جـــــــــــــراح واحدقي يا قيـــــــــــــود

---

[168] المصدر نفسه، ص 22.

[169] المصدر نفسه، ص 26.

[170] يحى الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص 187

نحن قـــــــــــــــــــــوم أباة ليس فينا جـــــــــــــبان
قد سئمنا الحـــــــــــــــياة في الشقا والهـــــــــــوان
لا نمـــــــــــــــــل الكفاح لا نمل الجـــــــــــــهاد
في سبيل البلاد
أدخلونا السجـــــــــــــون جرعون المنـــــــــــــون
ليس فينا خـــــــــــــــؤون ينثني أو يهـــــــــــــون
أجلدوا عذبـــــــــــــــوا و اشنقوا و اصـــــــــلبوا
واحرقوا و أخـــــــــــربوا لنحن لا نـــــــــــرهب"[171]

فوليد "بربروس" هذا "اعصفي يا رياح" طغي عليه طابع التحدي و الثورة فسخر من المستعمر و اضطهاده، بل أنه أوصد في وجهة الأبواب، فكان المستعمر أنذاك قد بدأ يعمق سياسة التعذيب و التنكيل لقهر الشعب و إذلاله و إخماد أنفاس الثورة في مهدها لكن مفدي يبشر المستعمر بعدم جدواها و ينصحه بالعدول عنها.

« و بالرغم من أن النشيد يرجع زمنيا إلى سنة 1937م ، فإنه مضمونيا يعود إلى ما بعد سنة 1954م، فهو نشيد ثوري بكل ما في الكلمة من معاني الرفض و التحدي ، فهو لا ينطلق من الحاضر بقدر ما يستشرف المستقبل و يستلهمه»[172]

و غداة اندلاع الثورة، و قبيل إلقاء القبض على مفدي زكريا في السجن مرة أخرى نظم نشيد الثورة " قسما"، و قد أصبح هذا النشيد من سنة 1956 النشيد الرسمي للثورة و ذلك لأنه كان

« ترجمانا حيا أمينا لإحساس الشعب بثورته و كان صدى المشاعر الثوار حقا، و إن الدارس للشعر الجزائري عليه أن ينتبه إلى أن هذا النشيد هو التعبير الحقيقي عن أمال الجزائر و عن خواطر و خلجات أبنائها، و بالتالي هو اللسان الفصيح للثورة الجزائرية العارمة»[173]

و النشيد يتألف من أربع مقاطع و لازمة تتكرر عقب كل مقطع:

« قسما بالنازلات الماحـــــقات والدماء الزاكيات الماحـــــــــقات
والبنود اللامعات الخافـــقات في الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا فحياة أو ممـــــــات وعقدنا العزم أن تحيا الجزائـــــــر»[174]

فاشهدوا

في هذا المقطع يفاجئنا الشاعر بقسم غريب و مثير، قسم بالقنابل النازلة ،و الدماء الدافقة الطاهرة، و البنود الخافقة على الجبال الشاهقة الشامخة، على أن الجزائريين ثاروا يطلبون الموت أو الحياة.

و في هذا المطلع يدخل الشاعر مباشرة دون مقدمة أو تمهيد بقسم غير مألوف و هذا القسم يوحي بجو المعارك و ما فيها من دماء و دمار، تصوير حي للثورة التي باغتت العالم بقوة متكاملة دون أن تتغير في انطلاقتها في هذا المقطع نلمس قوة القرار و عمقه الناتجين عن قوة الإيمان و عمقه، فالثورة شيء مسلم به و واقع معيش، و ليس لها نتيجة واحدة، فإما الحياة ، و إما الموت و بالرغم من أن الشاعر يقابل بين الحياة و الموت في هذا المقطع ،إلا أنه يترك اللفظتين تشعان معان يؤكدها السياق، فليس الموت هنا ما يقابل الحياة بالمعنى اللغوي للكلمتين، و ليست الحياة المعنية هنا هي حياة الجسد، بل هي الحياة المعنوية، حياة الحرية و السيادة.

---

[171] مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، ص 86، 87.
[172] يحى الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص 188.
[173] نقلا عن المرجع نفسه، ص 188.
[174] مفدي زكريا ، اللهب المقدس، ص 71.

أما الموت المقصود فهو الموت الجسدي الخالص أي الاستشهاد، إنه لا يحمل معنى من معاني الذل و الاستبعاد، فالنصر نتيجة حتمية لا شك فيها، و الموت في حد ذاته نوع من الانتصار لا يقل شرفا عن الانتصار و الوصول إلى هدف الحرية.

ويقول أيضا:

« نحن جند في سبيل الحق ثرنا وإلى استقلالنا بالحرب قمنـــــا.
لم يكن يصغي لنا لما نطـــقنا فاتخذنا رنة البارود وزنـــــــــــا
و عزفنا نغمة الرشاش لحـــــنا وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا»[175]

في هذا المقطع الثاني يرجع الشاعر إلى تقديم خلفية عن أسباب اندلاع الثورة، و عن هدفها السياسي، و عن وسيلتها لبلوغ ذلك الهدف.

فهذه الثورة ليست ثورة ظلم و بطش و اعتداء و إنما هي ثورة في سبيل الحق ذات هدف واحد و وحيد و هو الاستقلال ،وسيلتها في تحقيق هذا في الحرب لا غير .

« نحن من أبطالنا، ندفع جـــــندا وعلى أشلائنا نصنع مجـــــدا
وعلى أرواحنا نصعد خـــــــلد وعلى هاماتنا نرفع بنـــــــــــدا
جبهة التحرير أعطيناك عـــهدا وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا»[176]

في هذا المقطع ربط طريف بين وسائل الثورة و أهدافها، فإذا كان المقطع السابق يحدد الهدف بالاستقلال و الوسيلة بالحرب فإن المقطع الثالث يربط بينهما.

« فالثوار الجزائريون يدفعون من أبطالهم جنودا، (ولفظة الدفع هنا تفيد معنى تسديد الثمن مقابل الاستقلال) و يصنعون من أشلاء شهاداتهم مجدا ، ثم يصعدون على أجنحة أرواحهم إلى جنة الخلد ،و يرفعون البنود على رؤوسهم تقدير لما لها من قيمة و خطر»[177]

« صرخة الأوطان من ساح الفدا اسمعوها و استجيبوا للـــــــندا
واكتبوها بدماء الشهـــــــــــداء وأقرؤها لبني الجيل غـــــــــدا
قد مددنا لك يا مجد يـــــــــــدا وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا »[178]

و في هذا المقطع الرابع، نلمح نظرة عامة تضم عامة الحاضر و المستقبل معا، ففيه تشبث بالحاضر و معاركه في ساحات القتال و الفداء، و في نفس الوقت فيه استشراف للمستقبل و عناق لأجيال الغد في يومها المجيد، فالدماء التي شبع فيها الثورة لم تقف حاجزا بينها و بين الضفة الأخرى و هو الاستقلال ،فبقدر ما ركزت الثورة على الحاضر المأساوية بقدر ما تهوى إلى المستقبل المشرق.

و لذلك كله يطلب الشاعر الاستماع إلى الصرخة المتعالية من ساحات الفدا و الاستجابة لها، ثم كتابها بدماء الشهداء لكي تقرأها الأجيال المقبلة.

بعد كل مقطع من مقاطع النشيد تتكرر لازمة لا تتغير تعبر عن قرار ثابت لا يتغير و هو عقد الثوار و عزمهم على حياة الجزائر، و مطالبتهم بأن يكون الجميع شهودا عليهم في إصدار القرار و السهر على تطبيقه.

" وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر فاشهدوا"

و هكذا يتبين لنا هذا التحليل لنشيد الثورة أنه لسانها الفصيح، فقد تحدث عن أسبابها و عن أهدافها و وسائلها، و قد أبرز النشيد بوضوح عقدها العزم على حياة الجزائر و تصميمها القوي على ذلك

---

[175] مفدي زكريا اللهب المقدس ، ص 72.
[176] المصدر نفسه، ص 72.
[177] يحى الشيخ صالح ، شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص 191.
[178] مفدي زكريا، اللهب المقدس، 72

و نلاحظ في النشيد تلاحم الشكل بالمضمون « و تعمق يتجلى ذلك في مفاجأة الشاعر للآخرين بوضعهم مباشرة على أرض المعركة في جبال شاهقة تعج بالدماء و البنود و القنابل... مما يقدم صورة حية عن الطريق التي ظهرت بها الثورة للعالم ، من جهة أخرى أظهر الشاعر نفسه و هو يتحدث بلسانها، فهي ملكته و سيطرت وجدانه و شعوره لذلك عندما أراد أن يقسم لم يجد أمامه إلا أن يقسم بواقع الثورة و مقدساتها»[179]

هذا واحد من الأناشيد، و لا تختلف الأخرى عنه كثيرا، فهي تعبير عن الأفكار الثورية نفسها التي عبر عنها نشيد الثورة، ففي نشيد العلم الذي وضع على لسان كل الجزائريين ينظر الشاعر إليه على أنه رمز الجزائر، و لذلك فهو يستوعب كل المعاني النضال و التضحية و الفدا:" كفاحنا، نظالنا، جهادنا، استقلالنا، أرواحنا، أموالنا، أكبادنا ... في سبيل العلم"

« إن مفدي زكريا ينظر إلى شخص من خلال منظوره إلى القضية، ذلك المنظور الذي لا يؤمن بغيره لتضحية و الفداء طريق خلاص من الاستعمار و لا يعتمد غير المواجهة العلنية أسلوب نظال و لا يقتنع بغير الاستقلال التام هدفا و مطلبا، و من هنا قام السجن في حد ذاته خطوة نحو الحرية و الاستقلال فمن زواياه المظلمة ينطلق النظر إلى الأفق الواسع الرحب و ما دام السجن في اعتباره كذلك فإنه يخلع عليه صفات القداسة كجسد من خلال ذلك حساسة العازم بهذه المبادئ و إيمانه المطلق بشرعيتها و صدقها»[180] و هو ما يتجلى لنا خلال نشيده الذي ألفه خصيصا لبربروس ذلك السجن الرهيب، يجسد الشاعر الألم و العذاب بشكل يفوق طاقة البشر العاديين، فيتحدى ما فيه من مظاهر التعذيب و المعاناة:

« يا ليل خيم ... واعصفي يا ريـــاح يا أفق دمدم و اقصفي يا رعـــود
يا دم شرشر و أثخني باجـــــــراح يا غل صرصور واحدقي يا قيود
»[181]

ثم يخاطبه بحديث كله إطراء و إعجاب ، و تقديس و إجلال، فالشاعر لا يرى في السجن إلا أنه طريق الخلود، و محراب الضحايا، هو مصنع الأمجاد و رمز الفدا، إنه معقل الأبطال و الشهداء، و منتدى للأبطال يلتقون من كل مكان.

و في نشيد "الطلاب" يتسارع الطلاب إلى التبرع بأرواحهم لجعلها لبنات للبناء الجزائر

« فخذوا الأرواح مـــــــــــــنا
واجعلـــــــــــــــــــــوها لبنات
و اصنعوا منها الجزائر
فخذوا الأفكار عـــــــــــــــنا واعصرو منها
الحـــــــــــياة

و لا ينسى الشاعر أن يشير إلى الحدث التاريخي في حياة الطلبة، يوم أن لبوا نداء الثورة، و تركوا مقاعد الدراسة مندفعين لفداء الجزائر.

« نحن من لبى ندها عندما اشتد بلاها و اندفعنا لفـــــــــــــداها
و المنايا صارخات»[182]

أما العمال في نشيدهم فهم يلتحمون بالثورة، و لذلك يطالبون بتحقيق أهدافها يوم تستقل الجزائر، بتوزيع الأراضي على الفلاحين و نشر الصناعة في البلاد.

« كلنا للشعب، و الشعب لنا نحن في الشعب عرفنا المـــــحنا
وزعوا الأرض على فلاحنا و انشروا الصنعة في أوطانـــــــنا» [183]

---

[179] يحى الشيخ صالح ،شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص 192.
[180] محمد عيسى وموسى، من كلمات مفدي زكريا في ذاكرة الصحافة، ص 297.
[181] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 98.
[182] المصدر نفسه ص 98.
[183] مفدي زكريا، اللهب المقدس ، ص 103.

و مما تقدم من تحليل لمقاطع بعض الأناشيد يتبين لنا أن الشكل فيها تلاحم مع المضمون تلاحما شديدا، فما عبر عنه الشاعر من أفكار الرفض و التحدي عبر عنه الشكل و لذلك اتصفت الموسيقى الداخلية بالتماسك و القوة و الصـــخب.
و هذه الموسيقى تشكلت من الألفاظ القومية ، فيغلب عليها طابع الحدة و الصرامة و توحي بالحروب و المقاومة، و هول المعارك، و تنعدم من بينها ألفاظ الرقة و الليونة.
و تستحوذ لفظة"الدماء" و مشتقاتها على حصة الأسد في قاموس النشيد عند مفدي زكريا فتكررت في كل نشيد أكثر من مرة، باستثناء نشيد بنت الجزائر حيث يعبر النشيد عن بطولة الأنثى الخاصة بواقعية جعلته يختلف في مضمونه و تشكله عن غيره من الأناشيد.
و لفظة "الدم" تحمل من الإيحاءات و الدلالات ما لا يجمله أي لفظ أخر في مجال الرفض و الفداء، فالدم ماء الحياة، و أساس الوجود الكائن الحي، و إزهاقه يعبر عن أعمق الإيمان بالقضية التي يراق في سبيلها.
و لفظة"البنود" تكررت في كل نشيد، و هو الآخر يحمل دلالة عظيمة في قضية الثورة الجزائرية، فهو شعار الوطن و هو رمز يجسم كل ما تصبو إليه الثورة من حرية و كرامة و سيادة، و التعلق هو تعلق بالوطن و الأرض، و كل ما يربطه من لغة و دين و تاريخ ....
و نظرة خاطفة على مجموع الأناشيد توضح لما قلناه عن دلالة "الدماء و البنود" ففي نشيد العلم:

الدماء: « و ارشق على نهر الدماء
أحمـــــــــــــــــــــره دماؤنا
العلم: و ارفعوا العـــــــــــــــــلم
سلما للســــــــــما يا علم »[184]

و في نشيدي الثورة :
الدم: « والدماء الزاكيات الماحـــــــقات
و اكتبوها بدماء الشـــــــــــــهداء
العلم: و البنود اللامعات الخـــافقات
و على هاماتنا نرفع بـــــــــــندا"[185]

و في نشيد جيش التحرير:
الدم: «هذه دمانا الغالية دفاقـــــــــــه
ممزوج بالنار والدم الغالـــــي
العلم: وعلى الجبال أعلامنا خفاقة
حرة بلادي أعلامها خفاقـــــة»[186]

و في نشيد بربروس:
الدم: « يا دم شرشر وأثخني ياجراح
شقي الطريق فوق سيل الدما

العلم: يوم قمنا ورفعنا في السموات البنودا»[187]

و في نشيد الشهداء:
الدم: « بالنفوس و الدمـــــــــــــــــــاء
العلم: و ارفع العلـــــــــــــــــــــــماء»[188]

---

[184] المصدر نفسه، ص 76.
[185] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 72، 73- 74.
[186] المصدر نفسه ص 80، 82، 83، 84.
[187] المصدرالسابق، ص 88، 89.
[188] المصدر نفسه، ص 84، 85.

و في نشيد "الطلاب الجزائريين"

الدم: « كم غرقنا في دماهـــــــــــــــا
دمها أحمـــــــــــــــــــــــر فائر»[189]

و في نشيد الشغالين:

الدم: وصنعنا من دمانا وطـــــــــــــنا
العلم: « نرفع الراية ما بين الـــــــدول
ننسج الراية من أكـــــــــــــبادنا»[190]

ففي تقارب لفضي "الدماء، العلم" في نسبة ورودها في الأناشيد حقق الشاعر نوعا من التوازي بين الوسيلة و الهدف، فالوسيلة بدون هدف نوع من الفوضى و الهدف بدون وسيلة محكوم عليه بالإخفاق ،و إذا كان العلم هدف الثورة، فإن الدم وسيلته الوحيدة و معادلة(الدم، العلم) المتحققة من خلال أناشيد مفدي هي تعبير عن فلسفة الثورة في عمقها و شمولها.

خاتمــة:

كان ذلك حصاد مفدي زكريا و كانت هذه دراستنا لهذا الحصاد الشعري الضخم إنه إبداع شاعر حوته السجون، فلم يمتنع عن القول و الإبداع في حدود فنية و لكنه ظل شاعرا، صادقا،

---

[189] المصدر نفسه ص 97، 98.
[190] المصدر نفسه، ص 100، 103.

أحب وطنه فانعكس حبه في شعره، و أراد إصلاح أبنائه فعبر عن ذلك من منبر سجنه و في هذا الصدق الشعري فنية لا يمكن إنكارها مهما أوردنا من انتقادات و نقائص .

إن قراءتنا لشعر مفدي زكريا جعلتنا نقف على النتائج الآتية:

- شعر مفدي زكريا زاخر بالإبداع و الثورة و الإحساس، فكان مهيجا للنفوس و معلما للحب، حب الأوطان الناس و عبر عن وظيفته المعرفية الأخلاقية، المحفزة على النصر و أسس مكارم الأخلاق.
- الحرية و العدل تشملهما خبرة الخير و الألم و اليأس و الاستقلال يشملهما الشر، و في سبيل هاتين القيمتين وهب الشاعر حياته فداءا لها فجاهد و ذاق مرارة السجن
- و الاعتقالات التي أذكت أحاسيسه بالحرية.
- إن السعادة و الأمل لا يتحققان إلا بالبناء الذي يتطلب أخلاقا عالية دون شقاق و لأن مفدي زكريا عاش الخلاف الذي بين الشعوب العربية فهو يدعو إلى الوحدة دون يأس متأملا في شعبه المكافح، كما دعى إلى تقرير الشعب لمصيره.
- مفدي زكريا لم يكن شاعرا فحسب بل كان ثائرا فقد مجد الثورة و كافح من أجل الاستقلال و كان شعره يحمل في طياته أبعادا تتنبئ في فلسفته أخلاقية، ظهرت جليا في ديوانه.
- كما أن شعر مفدي زكريا كانت له سمة بارزة وهي أول ملاحظة نلاحظها للوهلة الأولى في شعره وهي استخدامه للألفاظ القرآنية فهو دليل واضح على تشبعه بالثقافة الإسلامية.
- سمة أخرى من سمات مفدي زكريا تميزه عن غيره تتجلى في توصيف الشاعر للأعلام
- و هي أعلام القصص القرآني و أعلام الأدب و التاريخ مما جعلنا نهتدي أن مفدي زكريا ملما بالأدب و أعلامه و بالتاريخ قديمه و حديثه.
- شعره صادق في أغلبه، فالشاعر آمن بالثورة و تفاعل معها حتى أصبحت جزءا من كيانه و هذا لإحتواء شعره على الموسيقى الداخلية المعبرة.
- إن المعجم الشعري عند مفدي زكريا امتاز بالتعددية و التنوع فمن معجم إصلاحي عكس إيديولوجية الشاعر الإصلاحية و الأخلاقية إلى معجم ذاتي نابع من حالته النفسية القاتمة قتامة السجن أو المتفائلة تفاءل الشاعر.
- امتاز شعره بالروح الوطنية الجماعية التي ظلت تتابعه حتى في أبرز لحظات حياته و أسوئها داخل السجن، مما أضفي على شعره، سمة الخطابية المباشرة و هي سمة عامة في الأدب الجزائري.

ونلخص أخيرا إلى أن الشاعر الجزائري قد نحت من صخر كما قيل لكننا نقول بأن الصخر يفجر الأنهار، التربة النائمة تفجر البراكين، كذلك فجر السجن شعرية مفدي زكريا الذي أراد له المستعمر الفناء في سجنه، فأراد لنفسه الخلود به، و اتخذ مكان لإبداعه الرافض للظلم، لأنه كان قد أمن بان الشعر و الإبداع قد خلقه الله لا ليموت لكن ليكون دعوة للحياة و الإحياء و البقاء و الإبقاء.

و نفتح القوس أخيرا لنقول أن البحث في الأدب الجزائري هو بحث شيق لكنه صامت ينتظره من ينطقه، لذلك فإننا ندعو الطلبة و الأساتذة ليكملوا المسيرة لأن الحديث عن مفدي زكريا وحده له قيمة هامة للدراسة و البحث و الاستقصاء فما بالك بالكثير من الشعراء الذين لم ينظر إليهم إلا كبقايا تاريخ!!

االذبيح الصاعد

قام يختال كالمسيح وئيـــــــدا ... يتهادى نشوان ، يتلو النشـــــيدا
باسم الثغر، كالملائك ، أو كالطـ ... ـفل، يستقبل الصباح الجديـــــدا
شامخا أنفه ، جلال وتيهـــــ ... ـا رافعا رأسه ، يناجي الخلـــــودا
! رافلا في خلاخلا ، زغردت تمـ ... ـلأ من لحنها الفضاء البعيـــــدا
حالما ، كالكليم كلمه المجـــــ ... د، فشد الحبال يبغي الصـــــعودا
و تسامى ، كالروح ، في ليلة القد ... ر، سلاما ، يشع في الكون عيـــدا
و امتطى مذبح البطولة معـــــ ... راجا،و وافى السماء يرجو المزيدا
و تعالى ، مثل المؤذن يتلو .... كلمات الهدى ، و يدعو الرقـــودا
صرخة ، ترجف العوالم منهـا ... و نداء مضى يهز الوجـــــودا:
" اشنقوني ، فلست أخشى حبـالا ... و اصلبوني ، فلست أخشى حديـدا "
" و امتثل سافرا محياك جـــــلا ... دي، و لا تلتثم ، فلست حقـــودا "
" و اقض يا موت في ما أنت قاض، ... أنا راض ، إن عاش شعبي سعيـدا "
" أنا إن مت ، فالجزائـر تحيـــــا ... حرة ، مستقلـة، لن تبيـــــــدا "
قوله، ردد الزمان صداهـــــــا ... قدسيا، فأحسن الترديـــــــــدا

احفظوها ، زكية كالمثانـــــى ... و انقلوها ، للجيل ، ذكـرا مجيدا
أقيموا ، من شرعها صلـــوات ... طيبات ، و لقنوهـا الوليـدا

! زعموا قتله ... و ما صلبـــوه ... ليس في الخالدين ، عيسى الوحيدا
لفه جبرئيل تحت جناحيـــ ... ـه إلى المنتهى ، رضيا شهيـدا
و سرى في فم الزمان "زبانا " ... مثلا ، في فم الزمان شـــرودا

يا " زبانا " ، أبلغ رفاقك عنـــا ... في السماوات ، قد حفظنا العهـودا

و أرو عن ثورة الجزائر ، للأفـ ـلاك ، و الكائنات ، ذكر مجيـــدا
ثورة ، لم تكن لبغي ، و ظلـــم في بلاد ، ثارت تفك القيـــــودا
ثورة ، تملأ العوالم رعبـــــا و جهاد ، يذرو الطغاة حصيـــدا
كم أتينا من الخوارق فيـــــا و بهرنـا ، بالمعجزات الوجـــودا
و اندفعنا ، مثل الكواسر نرتـا د المنايـا ، و نلتقي البـــــارودا
من جبال رهيبة ، شامخـــات، قد رفعنا على ذراها البنـــــودا
و شعاب ، ممنعات براهـــا مبدع الكون ، للوغى أخـــدودا
و جيوش ، مضت ، يد الله تـز جيها، و يحمي لواءها المعقـــودا
من كهول ، يقودها الموت للنـ ـصر ، فتفتك نصرها الموعـودا
و شباب ، مثل النسور، ترامـي لا يبالي بروحـه ، أن يجـــــودا
و شيوخ ، محنكين ، كـــرام ملئت حكمة و رأيا سديـــــدا
صبايـا ، مخدرات تبـــاري كاللبؤات ، تستفـز الجنـــــودا
شاركت في الجهاد أدم حـــوا ه ، و مدت معاصما و زنـــودا
أعملت في الجهاد ، أنملها اللـ ـدن،و في الحرب غصنها الأملود
فمضى الشعب ،بالجماجم يبنـي أمـة حرة ، و عـزا وطيـــــدا
من دماء، زكية ، صبها الأحـ ـرار في مصرف البقاء رصيـدا
و نظام تخطه " ثورة التحـــ ـرير" كالوحي، مستقيما رشيـدا

و إذا الشعب ، داهمته الرزايـــا، هب مسترخصا ، و عاف الركودا
و إذا الشعب ، عازلته الأمانـــي، هام في نيلها ، يدرك الســـدودا
! دولة الظلم للزوال ، إذا مـــــا أصبح الحر للطغاة مســـــودا
! ليس في الأرض سادة و عبيـــد كيف نرضى بأن نعيش عبيـــدا
! أمن العدل ، صاحب الدار يشقي و دخيل بها ، يعيش سعيـــــدا
أمن العدل ، صاحب الدار يعرى و غريب يحتل قضر مشيـــــدا ؟
و يجوع ابنها ، فيعدم قوتـــــا و ينال الدخيل عيشا رغيـــــدا ؟؟
و يبيح المستعمرون حماهـــا و يظل ابنـها ، طريدا شريـــــدا ؟؟
!! يا ضلال المستضعفين ، إذ هـم ألفوا الذل ، و استطابوا القعـــود
ليس في الأرض ، بقعة لذليـــل لعنته السما ، فعاش طريـــــدا ...
يا سماء، اصعقي الجبان،و يا أر ض أبلعي ، القانع ، الحنوع، البليدا

يا فرنسا، كفى خداعا فإنـــــا يا فرنسا ، لقـد مللنا الوعـــــودا
صرخ الشعب ، و انطلق الرشـ ـاش ، يلقي إليك قولا مفيـــــــدا
"نحن ثرنا ، فلات حين رجـوع أو ننال استقلالنا المنشـــــــودا

يا فرنسا ، أمطري حديدا و نـــارا و املئي الأرض و السماء جنـــودا
و اضرميها عرض البلاد شعاليـ ـل ، فتغدو لها الضعاف وقـــودا
و استشيطي على العروبة غيظـــا و املئي الشرق و الهلال وعيـــدا
سوف لا يعدم الهلال صلاح الـــد ين ، فاسترخصي الصليب الحقودا
و احشري في غياهب السجن شعبا سيم خسفا ، فعاد شعبا عنيـــــدا
!! و اجعلي"بربروس"مثوى الضحايا إن في بربروس مجدا تليـــــدا

و اربطي في خياشم الفلك الـدو ار حبلا ، و أوثقي منـه جيـــــدا

عطلي سنة الإله كما عـــــط ـلت من قبل "هوشمين"[191] المريـــدا...
إن من يهمل الدروس، ينســـى ضربات الزمان، لن يستفيـــــدا...
! نسيت درسها فرنسا ، فلقنـــــا فرنسا بالحرب ، درسا جديـــــدا
! و جعلنا لجندها (دار لقمـــــا ن)[192] قبورا ، ملء الثرى و الحـــودا
يا "زبانا" و يا رفـاق " زبانا " عشتم كالوجود ، دهـرا مديـــــدا
!! كل من في البلاد أضحى"زبانا " و تمنى بـأن يموت "شهيـــــدا"
!! أنتم يا رفاق، قربان شعـــب كنتم البعث فيـه و التجديـــــدا
!! فاقبلوها ابتهاله ، صنع الرشـــ ـاش أوزانها ، فصارت قصيـــدا
!! و استريحوا ، إلى جوار كريـم و اطمئنوا ، فإننـا لن نحيـــــدا

زنزانة العذاب رقم 73

سيان عندي ، مفتوح و منغلـــــق يا سجن، بابك، أم شدت به الحلـق
أم السياط ، بها الجلاد يلهبنـــــي أم خازن النار ، يكويني فأصطفـق
و الحوض حوض ، و إن شتى منابعه ألقي إلى القعر ، أم اسقي فأنشـرق
سري عظيم، فلا التعذيب يسمح لـــي نطقا ، و رب ضعاف دون ذا
!نطقوا

يا سجن ، ما أنت ؟ لا أخشاك، تعرفني من يحذق البحر ، لا يحذق به
الغرق
إني بلوتك في ضيق ، و في سعـــة و ذقت كأسك ، و حق و لا حنـــق
أنام ملء عيوني ، غبطة و رضـــى على صياصيك ، و هم و لا قلـــق
طوع الكرى ، و أناشيدي تهدهدنـــي و ظلمة الليل ، تغريني فأنطلـــق
و الروح تهزأ بالسجان ساخـــرة هيهات يدركها ، أيـان تنزلـــق
تنساب في ملكوت الله سابحـــة لا الفجر،إن لاح، يفشيها و لا الغسق

و رب نجوى ، كدنيا الحب ، دافئـــة قد نام عنـها رقيبي، ليس
يستـــرق
عادت بها الروح ، من (سلوى) معطرة فالسجن ، من ذكر(سلوى)، كله
عبق
مثلهم خطـــأ لو أنهم أنصفوا ، كان اسمك الرمـق! أناديك سلوى! سلوى
يا فتنة الروح، هلا تذكرين فتـــى ما ضره السجن ، إلا أنه ومـــق
؟
هل تذكرين ، إذا ما الحظ حالفنـــا إليك أهتف يا سلوى ، فنتفـــق
؟

---

[191] اسم محرر الهند الصينية
[192] دار لقمان: السجن الذي ألقي به (سان لويس)لما طمع في احتلال مصر

أم تذكرين ، و لحن الموج يطربنـــــا إذ نفرش الرمل في الشاطي و نعتنـق؟
الموج ينقل في أصدائه قبـــــــــلا يندى لـها الصخر، حتى كاد ينفـــلق!
نسابق الشمس ، نغزوها بزورقنـــــا فيسخر الموج منا كيف نلتحـــــق
و تغرب الشمس، تطوي في ملاءتـــها سرين ، أشفق أن يشفيهما الشفـــق
و كم سهرنا ، و عين النجم تحرســـنا إذ نلتقي كالرؤى ، حينا ، و نفتـــرق
و الليل يكتم في ظلمائه شبحـــــــا يأوي إلى شبح ، ضاقت به الطـــرق
حالك حالي، أمرنا ! يا ليل !! كم لك في الأطواء من عجب! يا ليل نســـــق!

سلوى ، حديثك يا سلوى، يباغمنـــي و الطرف يختان،و لا يدري به الحدق
أنفاسك الطهر ، كالصهباء تغمرنـــي دفئا ، و يسكرني من فرعك العـــرق
خدرها الباري ، و صـــورها إن أرتشف ثغرها ، يفتك بـــي الأرق! سمراء

هلى تجاوبنـــي سلوى؟؟ فإن لساني باسمها ذلـــــق ! أناديك سلوى! سلوى

ردي علي أهازيجي موقعـــــــة فقد أعارك وزنا ، قلبي الخفـــــق
و رتليها ، تسابيحـا مقدســـــــة في معبد الحب ، يسجد عنـــها الأفق
و استأذني ، في رسالات الهوى ، قمرا يرنو إليه كلانا، حين يتســـــــق
إني رأيت أخاك البدر ذا ثقـــــــة جلت أياديه في دنيا الألى عشـــقوا

يا لائمي في هواها ، إنهـــــا قبس، من الجزائر ، و الأمثال تنطبـــــق
بنت الجزائر ... أهوى فيك طلعتـــها فكل ما فيك من أوصافها خلـــــق
أحبها ، مثل حب الله ، أعبدهـــــا أمنت بالله ، و لا كفر ، و لا نـــزق
أرض الجزائر في إفريقيا، قـــدس رحابها ،من رحاب الخلد، إن صدقوا
قلب العروبة، لم يعصف بنخوتـــها عسف ،و لا نال من إيمانها رهـــق
نادى المنادي إلى التحرير يدفعـــها فاسترخصت، من قيود الحجر تنعتق
ثارت على الظلم ، مثل السيل جارفة فلا الفيالق، تثنيها و لا الفـرق
جيش، إلى النصر ، تحدوه ملائكـه مسومون، بموج الموت يندفـق
و فتية، هرعوا للشرق يعضدهـم إن يصعقوا، فكأن الكون ينصعـق
و الشعب، يسبح للعليا على دمـه و للتبرع بالأرواح يستبـــق
لم يثنه دون إدراك المنى رهـق و إن هم، احرقوا بالنار، أو شنقوا
هذا الذي يا فرنسا ، تهدفين لـــه جهلا ، أما في فرنسا حازم حـذق ؟
وضع السلاح، أحاديث ملفقـــة، خرافة ، صاغها للكيد مختلـــق
لا تشغلينا بأثواب و أرغفـــة أهدافنا المجد ، ليس الخبز و الخرق
فكم قطعت عهودا، أصبحت حلمـا حتى غدونا ، بغير الحرب لا نثـق
حقوقنا ، بدم الأحرار نكتبهـــا لا الحبر ، أصبح يعنينا، و لا الورق
لا تطعمي النصر، من جند سماسرة أيحرز النصر مأجوره و مرتـزق
جيش من المرد ،غلمان ، مخنثة أحلاس يدفعها – للزلة- الشبـــق
فلا ضمير عن الفحشاء يردعهم إن أيسروا فسقوا، أو أعسروا سرقوا

عجل بنصر كم وعدت به فإن بابك، باب ليــس ينغلــق! يا رب
لو أفلت ناصيتي رأيتني ، لخطوط النار أختــرق! و أنت يا سجن
لا أبتغي العز إلا في مغامــرة إن السماوات، للمقدام تنفتــق
وهبتك يا روحي، فدا وطني زلفى إلى الله، لا من و لا ملــق! روحي
! و إن جفاني ذوو القربى ، فلا عجب إن النبوة في أوطانها خــرق
لا زلت أرعى لهم عهدا ، و إن بقيت مثل المدى، من جفاهم ، في الحشى حرق
سيذكرون ، إذا الليل الرهيب سجى و جلجل الخطب ، أني في الدجى فلق
..!! حسي ، و حسب أناسي، أن غدوت لهم عودا، يعطرهم، ذكري و أحترق

إقرأ كتابك

و حي المدفعا و اذكر جهادك... و السنين الأربعا! هذا (نوفمبر)، قم
! و اقرأ كتابك ، للأنام مفصلا تقرأ به الدنيا الحديث الأروعا
و اصدع بثورتك الزمان و أهله و اقرع بدولتك الورى و (المجمعا)
! و اعقد لحقك في الملاجم ندوة ... يقف السلاح بها خطيبا مصقعا..
!و اصغ إن ذكر اسمها تجد الجبابر ساجدين و ركعــا ! و قل: الجزائر..
! إن الجزائر في الوجود رسالــة الشعب حررها ، و ربك وقعا
! إن الجزائر قطعة قدسيـــــة في الكون لحنها الرصاص و وقعا
! و قصيدة أزليــة ، أبياتهـــا حمراء ، كان لها (نوفمبر) مطلعا
نظمت قوافيها الجماجم في الوغى و سقى النجيع رويها ، فتدفعــا
عنى بها حر الضمير ، فأيقظــت شعبا إلى التحرير شمر مسرعــا
سمع الأصم رنينها ، فعنا لهــا و رأى بها الأعمى الطريق الأنصعا
و درى الألى ، جهلوا الجزائر ، أنها قالت:"أريد" فصممت أن تلمعــا
و درى الألى ، جحدوا الجزائر ،أنها ثارت ، و حكمت الدما ، و المدفعا

شقت طريق مصيرها بسلاحهـــا و أبت بغير المنتهى ، أن تقنعـــا
شعب ، دعاه إلى الخلاص بناتـــه فانصب مذ سمع الندا ، و تطوعـــا
نادى جبرئيل في سوق الفـــدا فشرى و با ، بنقدها و تبرعـــا
فلكم تصارع و الزمان ، فلم يجـد فيه الزمان – و قد توحد – مطمعـا
و استقبل الأحداث ، منها ساخـرا كالشامخات ، تمنعا و ترفعـــا
و أراده المستعمرون ، عناصـــر فأبى مه (التاريخ) أن يتصدعـــا
و استضعفوه ، فقرروا إذلالـــه فأبت كرامته له أن يخضعـــا
و استدرجوه ، فدبروا إدماجـــه فأبت عروبته لـــه أن يبلعـــا
و عن العقيدة ، زوارو تحريفـه فأبى مع (الإيمان) أن يتزعزعـــا
و تعلموا قع الطريق ، فلـم ترد أسبابـــه ، بالعرب أن تتقطعا ....
نسب ، بدنيا العرب زكى غرسـه ألم ، فأورق دوحه و تفرعـــا
سبب ، بأوتار القلوب ، عروقـه إن رن هذا ، رن ذاك ، و رجعـــا
إما تنهد بالجزائر موجـــع أسى الشام جراحـه ، و توجعـا
و اهتز في أرض الكنانة خافـق و أقض في أرض العراق المضجعا
و ارتج في الخضراء ، شعب ماجد لـم تثنه أرزاؤه أن يفزعـــا
! و هوت مراكش حوله ، و تألمت لبـ ـنان، و استدعى جديس و تبعـا
!! تلك العروبة إن تثر أعصابهـــا و هن الزمان حيالها و تضعضعـا
الضاد ، في الأجيال خلد مجدهـا و الجرح ، و حد في هواها المنزعا
فتماسكت بالشرق جمهوريـــة عربية ، وجدت بمصـــر المرتعـا

و لمصر دار للعروبة ، حـــرة تأوي الكرام ، و تسند المتطلعـــا
سحرت روائعها المدائن عندمـا ألقى عصاه ، بها الكليم فروعـــا
و تحدث الهرم الرهيب ، مباهيـا بجلالها الدنيا ، فأنطق يوشعـــا
و الله سطر لوحها بيمينـــه و بنهرها ، سكب الجمال فأبدعـــا
النيل فتح للغريب ذراعـــه و الشعب فتح للشقيق ، الأضلعـــا
و الجيش ، طهر بالقتال ، (قنالها) و (جمال) أعمل في حشاها المبضـا
و الطور ، أبكى،من تعود أن يرى في (حائط المبكى) يسيل الأدمعـــا
و السد سد علـى اللئام منافـذا و أزج عن وجه الذئاب البرقـعا
و تعلم (التاميز) عن أبنائهـــا (و السنين) درسا في السياسة مقنعـا
و تعلم المستعمرون، حقيقـــة تبقى لمن جهل العروبة مرجعـــا
دنيا العروبة لا ترجح جانبـــا في الكتلتين ، و لا تفضل موضعـــا
للشرق ، في هذا الوجود رسالـة علياء ، و صدق وحيها ، فتجمعـــا،

لك في الجزائر ، حرمة لن تقطعـــا!يا أخت الجزائر في الهوى! يا مصر
هذي خواطر شاعر ،غنى بهـــا في(الثورة الكبرى)فقال و أسمعـــا
و تشوقات، من حبيس موثـــق ما انفك صبا ، بالكنانة مولعـــا
خلصت قصائده ، فما عرف البكـا يوما ، و لا ندب الحمى و المربعـــا
إن تدعه الأوطان ، كان لسامهـا أو تدعه الجلى ، أجاب و أسرعـــا
سمع الذبيح (ببربروس) فأيقظـت صرخاته ، شعر الخلود فلعلعـــا
و رآه كبر للصلاة ، مهلـــلا في مذبح الشهداء فقام مسمعـــا
و رأى القنابل كالصواعق،عن هوت تركت حصون ذوي المطامع بلقعـــا
و رأى الجزائر ، بعد طول عنائهـا سلكت بثورتها السبيل الأنفعـــا
وطن ، يعز على البقاء ، و ما انقضى رغم البلاء ، عن البلى، متمنعـــا

لم يرض يوما بالوثاق ، و لـم يزل متشاظا مهمـا النكال تنواعـا
هذه الجبال الشاهقـات ، شواهـد سخرت ، بمن مسخ الحقائق و ادعـى
سل(جرجرا) تنبئك عن غضباتهـا و استفت (شليا) لحظة و (شلعلعـا)[193]
و اخشع بـ(وارشنيش) إن ترابهـا ما انفك (للجند المعطر) مصرعـا[194]
كسرت تلمسان الضليعة ضلعـه و وهى (بصبرة) صبره فتوزعـا[195]
و دعاه (مسعود) فأدبر عندمـا لاقاه (طارق) سافرا و مقنعـا[196]
!! الله فجر خلـده ، برمالنـا و أقام عزرائيل ، يحمـي المنبعا
تلك الجزائر ... تصنع استقلالها تخذت له ، مهج الضحايا ، مصنعـا
طاشت بها الطرقات ، فاختصرت نهج المنايا ، للسيادة مهيعـا
و امتصها المتزعمون ، فأصبحت شلوا ، بأنياب الذئاب ممزعـا
! و إذا السياسة ، لم تفوض أمرها للنار ، كانت خدعـة ، و تصنعـا
!! إني رأيت الكون يسجد خاشعـا للحق و الرشـاش ، إن نطقا معـا

خبر فرنسا ، يا زمان بأننـا هيهات ، في استقلالنا ، أن نخدعـا
و استفت يا ديغول ، شعبك ، إنـه حكم الزمان ، فما عسى أن تصنعا ؟
لن أبيح من الجزائر اصبعـا..!! شعب الجزائر ، قال في استفتائـه لا
و اختار يوم (الاقتراع) نفمبـرا فمضى ، و صمم أن يثور، و يقرعا

فاشهـدوا النشيد الرسمي للثورة الجزائرية

قسما بالنازلات ، الماحقـات... و الدماء ، الزاكيات الدفقـات...
و البنود اللامعات، الخافقـات... في الجبال الشامخات الشاهقـات
نحن ثرنا ، فحياة أو ممات...
و عقدنا العزم .. أن تحيا الجزائر
فاشهـدوا ... فاشهدوا ... فاشهدوا
نحن جند ، في سبيل الحق ثرنا و إلى استقلالنا، بالحرب قمنـا
لم يكن يصغى لنا ، لما نطقنا ... فاتخذنا ، رنة البارود وزنـا...
و عزفنا ، نغمة الرشاش لحنا ...
و عقدنا العزم، أن تحيا الجزائر
فاشهـدوا ... فاشهدوا ... فاشهدوا
نحن من أبطالنا ، ندفه جنـدا و على أشلائنـا نصنع مجـدا
و على أرواحنا ، نصعد خلـدا و على هاماتنا ، نرفع بنـدا
جبهة التحرير ، أعطيناك عهدا ...
و عقدنا العزم .. أن تحيا الجزائر

---

[193] جرجرة: سلسلة جبال شاهقة ببلاد "القبائل الكبرى" من مجموعة الأطلس الجبار."شليا" أعلى جبل بسلسلة الأطلس الممتدة على أرواس ، شلعلع: جبل بأوراس سجل فيه المجاهدون أنصع صفحات الكفاح و الجهاد .

[194] وارشنيش: جبل بالجهة الغربية من سلسلة الأطلس

[195] صبرة: معقل الأبطال ، فرية تلمسان على الحدود المغربية

[196] مسعود اسارة إلى "حاسي مسعود" احدى منابع البترول بالصحراء الجزائرية ،طارق: إشارة إلى الطوارق الملثمين بصحراء الجزائر.

فاشهـدوا ... فاشهدوا ... فاشهدوا
صرخة الأوطان ، من ساح الفدا اسمعوها ، و استجيبوا للنـــدا...
و اكتبوها ، بدمـــاء الشهـدا و اقرأوها ، لبني الجيل غـدا ...
قد مددنا لك يا مجد يدا ...
و عقدنا العزم .. أن تحيا الجزائر
فاشهـدوا ... فاشهدوا ... فاشهدوا

القصيدة الخامسة/
عشت يا علم/ التحية الرسمية للعلم الجزائري.

هيا .... هيـا قفــوا
و ارفعوا العلـم ..
و انشدوا ، و اهتفـــوا
و اعزفوا النغـم..
أقصفوا المدافع ... تسمع الأمـــم :
رسالة العلـــم
أشرق رفيعا ، في الحمى و اخفق عزيزا مكرما و ارشق على نهر الدما
سلمـا ... للسمـا ... يا علـم ...
! علـم الجزائر ... عشت يا علـم
أنت وحـــي الشهـدا
! أنت يـا علـــم
أنت للجيـل غـدا
صلـة الرحـــم
! أحك للبرايـــا و ارو يا علـم
! حكايـة العلـــم
أبيضه : أخلاقنا أخضره : أوطاننا أحمره : دماؤنـــا
عروقنـا ... من نسيج العلـم
علـم الجزائـر ... دمت يـا علـم
أمـة ، شعارهـا الـــ
ـمجـد و الكـــرم
ثورة ، أحرارهـــا
طاهـرو الذمم
ثابتو العزائم صادقـوا الهمـم
في ثـورة العلـــم
كفاحنـا، نضالنـا ، جهادنـا ، استقلالنـا ، أرواحنـا ، أموالنـــا ...
أكبادنـا ... في سبيـل العـلم
! علـــم الجزائر ... عشت يـا علـم ...

نشيد الشهداء

أعصفي يـا ريـاح و اقصفـي يا رعـود
و اثخنـــي يا جراح واحدقـي يـا قيـود
نحـن قـوم أبـاة
ليـس فينـا جبـان
قـد سئمنا الحياة
في الشقا و الهوان
لا نمـــل الكفـــاح لا نمـــل الجهـــاد
في سبيل البـــلاد
أدخلونـا السجـون جرعونـا المنـون
ليس فينـــا خؤون ينثـــى أو يهـــون
أجلـدوا ... عذبـــوا...
و اشنقـوا ... و اصلبـوا...
و احرقـوا ... و اخربـوا ...
!! نحـن لا نرهـب .
لا نمـل الكفـاح لا نمـل الجهـاد
في سبيـل البـلاد

كلنـــا للعلا كلنـــا للرهـــان
نحن نسـل الألى شيـدوا القيـروان
نحـن نفـدي الجزائـر
! بالنفـوس و الدمـا ..
شعبنـا عـش و فاخـر
! و ارفـع العلمـا
لا نمـل الكفـاح لا نمـل الجهـاد
فـي سبيـل البـلاد...

نشيد بربروس

يا ليل خيـم ... و اعصفـي يا ريـاح
يا أفق دمـدم ... و اقصفي يا رعود
يا دم شرشر ... و أثخني يـا جـراح
يا غل صرصر ... واحدقي يا قيـود
يا سجن أزخر ... بجنـــود الكفـــاح
!! فأنت يا سجـن ... طريق الخلود ..
أنت ، محـراب الضحايـا
فـي حنايـــاك الأسـود
أنت ... أنت ... أنت ... يا بربروس ...
يا مصنع المجـد ، و رمـــز الفـدا
يا مهبـــط الوحـــي ، لشعر البقـا
أصبحت يـا سجـــن لنـا معبـدا
عليـك تلـلوا العهـد و الموثـا
يـوم قمنـــا و رفعنـــا
فـي السمـوات البنـــود
أنـت ... أنت ... أنت... يا بربروس ...

يا ثورة التحرير ، صوني الحمـى
و حرريه من يـد العاصبيـن
شقي الطريق فـوق سيـل الدمـا
و حطمـي الطاغين و الظالمين
اشهد يا ربـي ... و اسمعـي يـا سمـا
إنا نشرنا الروع في العالمين ...
يـوم ثرنـــا كالمنايـــا
نفتـدي أرض الجـدود

أنت ... أنت ... أنت ... يا بربروس ...
يا جيش ، أضرميها بســاح الوغــى
على العدو الغاصب الأجنبــي
و صبها نــار على مــن طغــى
تبعث بهـا مجد بنــي يعرب
و إن بلغت القصـــد و المبتغــى
فحقــق الوحــدة للغــرب
يبن أوطــان العروبــة
و الجزائــر ... لا حــدود...
أنت ... أنت ... أنت ... يا بربروس ...

النشيد الرسمي لإتحاد لطلبة لجزائريين

نحن طلاب الجزائر
نحن للمجد بناة
من آمال الجزائر
في الليالي الحالكات
كم غرقنا في دماها... واحترقنا في حماها... وعبقنا في سماها
بعبير المهجات

نحن طلاب الجزائر
نحن للمجد بناة

فخذوا الأرواح منا
واجعلوها للبنات
واصنعوا منها الجزائر
وخذوا الأفكار عنا
واعصروا منها الحياة
وابعثوامنها الجزائر
نحن من بلى نداها...عندما اشتد بلاها...واندفعنا لفداها
والمنايا صارخات

نحن طلاب الجزائر

نحن للمجد بناة

معشر الطلاب انا
قدوة للثائرين
كم عصفنا بالجبائر...
سل شعوب الأرض عنا

كم صرعنا الظالمين
واحتكمنا في المصائر
نحن بلغنا الرسالة ... نحن سطرنا العدالة ... نحن مزقنا الجهالة
و صدعنا الظلمـــات
نحن طلاب الجزائـر
نحن للمجد بنـــاه
ثورة التحريري مـــدى
لبني الجيـــل يـدا
دمها أحم فائـر
و اشهدي كيـف نفدي
ثورة الفكـر غـــدا
يوم تحرير الجزائـر
و تسود العبقرية ... في بلاد عربة ... زخرت بالمدنيه
في العصور الخالدات
نحن طلاب الجزائـر
نحن للمجد بناءة

النشيد الرسمي
للإتحاد العام للشغالين الجزائريين

اللازمة...
نحن جنود الإتحاد والعمل ننجز الأشغال لا نرضى الكسل
نعقد العزم لتحقيق الأمل نرفع الراية ما بين الـــدول
نفتل السواعد...نحمل الشـــدائد...نبلغ المقاصدا.
لا نكل...لا نمل
في الجزائـر

نحن عمال ، نهضنا للبنا ووهبنا روحنا، و البدنـــا
وصنعنا متن دمانا وطنا واندفعنا فسبقنا الزمنـــا

اللازمة...
نحن في الشعب نؤدي فرضنا ننقذ العمال من عيش الضنـــا
نحن بالأشغال نحيي أرضنا ثورة التحرير تحمي عرضنـــا
.
اللازمة...
نحمل الجيل على أكتافنـا نرفع الشعب على أضلاعنـــا
نصنع التاريخ من أعصابنـا ننسج الراية من أكبادنـــا

اللازمة..
كلنا للشعب، ةالشعب لنا نحن في الشعب ، عرفنا المحنـــا
وزعوا الأرض على فلاحنا.. وانشروا الصنعة- في أوطاننـــا

اللازمة...

قائمة المصادر و المراجع:

أ- القرآن الكريم: بالرسم العثماني، كتبه عثمان طه، دار الفجرالإسلامي، دمشق، ط3، 1403ه.

ب- المصادر:

01- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس، ، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس(دط) 1975م.

02- ابن قتيبة، الشعر و الشعراء: دار الثقافة بيروت ط 4 سنة 1980م.

03- أبو فراس الحمداني، ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق يوسف شكري فرحات، دار الجيل بيروت ط 3، 1426 هـ، 2006م.

04- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب مؤسسة جمال للطباعة و النشر بيروت(دط)(دت)

05- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، م.و.ك ط1 الجزائر (دت).

06- أحمد سحنون، ديوان أحمد سحنون، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر(دط) 1977م.

07- تقي الدين أحمد المقريزي، المواعظ و الاعتبار، دار صادر بيروت دار الكتاب العربي (دط)(دت).
08- الحافظ عماد الدين أبي العزاء إسماعيل ابن كثير القريشي دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ط3 1407هـ ، 1951م.
09- جرول ابن اوس بن جؤية الملقب بالحطيئة، ش:ابن سكين بيروت لبنان دط 1424ه، 2004م.
10- سيدي عبد الرحمن البهيقي، المحاسن و المساوئ، دار صادر بيروت، (دط) 1970م.
11- عبد الرحمن بن العقون، أطوار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،(دط)،1980م.
12- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكرين والرحمن في تفسير الكريم المنان، دار الإمام مالك الجزائر(دط) 2007م.
13- عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تغيير القرآن صدر عن وزارة الثقافة، ط1 ، 1425هـ ، 2004م
14- عبد الرحمن العقون، من وراء القضاء، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر(دط)،1969م.
15- عباس محمود العقاد، عالم السدود و القيود، منشورات المكتبية العربية بيروت (دط) (دت).
16- محمد بن سلام الجمحمي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق و شرح محمود محمد الشاكر، مطبعة القاهرة(دط)(دت).
17- محمد العيد آل خليفة، ديوان محمد العيد آل خليفة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (دط) الجزائر 1979م.
18- مفدي زكريا، اللهب المقدس، ش.و.ن.ت، الجزائر دط ، 1983م.
19- مفدي زكريا، إليادة الجزائر ، الجزائر، وزارة التربية الوطنية (دط)، 1986 م.
20- مهدي محمد ناصر الدين، ديوان طرفة بن العيد ، دار الكتب بيروت ط3، 1423ه، 2002م.
21- همام غالب الفرزدق، ديوان الفرذدق، دار صادر بيروت ط1، 1423 هـ، 2002م.

المراجـع:

22- أحسن مسدور، الثورة الجزائرية في الشعرالمصري المعاصر، مكتبة الآداب، مصر، ط1، 1425ه،2005م.
23- إليا الحاوي في النقد و الأدب العباسي، دار الكتاب اللبناي بيروت ط1 1980م.
24- حواس بري شعر مفدي زكريا دراسة و تقويم ديوان المطبوعات (دط) الجزائر (دت).
25- عبد القادر عبد الحميد زيدان التمرد و الغربة في الشعر الجاهلي دار الوفاء للطباعة و النشر مصر، الإسكندرية.(دط)،(دت).
26- عبد القدوس صالح، ديوان يزيد بن المفرغ، مؤسسة الرسالة بيروت ط1 ، 1975م.
27- عمر بوقرورة، الغربة و الحنين في الشعر الجزائري منشورات جامعة باتنة،(دط)، 1977م.
28- فوزي خضر ابن زيدون شاعر الحب المعذب، دار المصرية اللبنانية، ط1، 2002م.
29- زكي المحاسني، شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي و العباسي، إلى عهد سيف الدولة، دار المعارف مصر ، مكتبة الدراسات الأدبين (دط)(دت).
30- محمد أحمد الدقالي، الحنين في الشعر الأندلسي،(القرن السابع الهجري)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الاولى، مصر، 2008.

31- يحى الحبوري الحنين و الغربة في الشعر العربي دار مجدولاي عمان الأردن ط1 ،1428، 2008
32- يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1987م.
33- واضح الصمد، أدب السجون و أثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط1، 1415ه، 1995م.

المعاجـم

01- أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقايس اللغة، اعتنى به محمد عوض و الآنسة فاطمة محمد أصلان، دار الإحياء التراث العربي بيروت، ط1، 2001م.
02- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر للطباعة و النشر ، ط 2، بيروت، 2005م.
03- ياقوت الحمدي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،(دط)،1977م.
04-

المراجع المترجمة:

- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط 4 مصر 1977م.

المجلات:

01- محمد عيسى موسى، من كلمات مفدي زكريا في ذاكرة الصحافة الوطنية،مؤسسة مفدي وزارة المجاهدين، الجزائر (دط) 2003م.
02- رابح لونيس، مفدي زكريا شاعر الثورة ،دار المعرفة(دط) (دت).
03- مجلة الثورة الجزائرية في الأدب العربي، العدد الثالث، تيزي وزو، أكتوبر،1987م.

المذكرات:

- ايمان خلفاوي، شعر السجون عند احمد سحنون، مذكرة تخرج لسانس جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي الجزائر 2009م.